العتبة الحسينية المقدسة
مركز الرصد العقائدي
الأمانة العامة للعتبة الحسينية المقدسة

الاصدار ٢

القرآن الكريم بين الشبهات والردود

رداً على بعض الشبهات التي أثيرت على القرآن الكريم

تأليف
الشيخ ليث العتابي

القرآن الكريم
بين الشبهات والردود

القرآن الكريم
بين الشبهات والردود

رَدّاً عَلَى بَعْضِ الشُّبُهَاتِ الَّتِي أُثِيرَتْ عَلَى القُرآنِ الكَرِيمِ

تأليف
الشيخ ليث الغتابي

الطبعة: الأولى / سنة الطبع: ١٤٤٠هـ/ ٢٠١٨م
قطع الورق: ١٤,٨×٢١
المطبعة:
الناشر:
الإخراج الفني: أحمد الهاشمي

محفوظة جميع الحقوق

القرآن الكريم
بين الشبهات والردود

رداً على بعض الشبهات التي أثيرت على القرآن الكريم

تأليف

الشيخ ليث العتابي

شبكة كتب الشيعة
shiabooks.net
mktba.net رابط بديل

العتبة الحسينية المقدسة

مركز الرصد العقائدي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴾

سورة العنكبوت، الآية (٤٨)

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين حبيب إله العالمين أبي القاسم محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين.

و بعد:

قال الله تعالى في محكم كتابه الكريم: ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ﴾ سورة إبراهيم، الآية (١).

القرآن الكريم؛ كتابٌ أنزله الله سبحانه وتعالى هدىً وبشرى بين يدي رحمته، ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، مستنقذاً لهم من اهواء المضلين وفساد المفسدين وخداع المحرفين؛ الذين يحرفون الكلم عن مواضعه.

فهو؛ خاتم الكتب السماوية، والداعي إلى حقيقة الطاعة الإلهية، والمبشر بدينٍ عالمي واحدٍ هو (الإسلام).

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾ سورة آل عمران، الآية (١٩).

فإذا كان كذلك، فليس من المعقول أن يرضى المتسلطون بأن تنفى جميع سلطاتهم وان يكونوا سواسية كباقي أفراد المجتمع، ذلك ان كتاباً اسمه (القرآن) قال بذلك. بالتأكيد لا، والدليل على ذلك ان كانت حصة (القرآن الكريم) كبيرة جداً من الطعن والتشويه والمحاربة بكل الطرق وبشتى الصور، وبجميع الامكانيات المتاحة عندهم.

نعم، لقد كانت حصة القرآن الكريم من الطعونات الشيء الكثير، كونه دستور الإسلام الحقيقي وكتابه التشريعي الإلهي.

القرآن الكريم هو كتاب الخالق ومعجزته إلى خلقه نزله تعالى ليبين للناس ما اختلفوا فيه من أخبار، وتشريعات. فيه من الحكم والعبر والأمثال ما ينتفع به الناس إلى يوم القيامة. كما وان فيه من الأسرار ما لا يعلمه إلا الله والراسخون في العلم.

قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا

بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ سورة آل عمران، الآية (٧).

لقد سلك أعداء الإسلام طرق ومناهج متعددة ومتنوعة للطعن فيه، ذلك لأنهم يعلمون أنه دستور الإسلام، وأساسه، وأصله، ومنهجه، فالتشكيك فيه تشكيكٌ في أساس الدين الإسلامي، وبالتالي إضعافه، وصَرْف المسلمين عنه[١] كونه الطريق السوي، والصراط المستقيم الذي اراده الله تعالى للبشرية جمعاء؛ هدى ورحمة ونجاة.

إن معظم المطاعن التي وجهت للقرآن الكريم كان سببها؛ العداء المباشر للدين الإسلامي، كل ذلك اعتماداً على ما لا يصح من الأخبار الواهية، والمختلقة الكاذبة، فجاء المستشرقون ليضيفوا إليها ما شاءت لهم أنفسهم ان يضيفوه، ممن هو من بنات أخيلتهم وصناعة أوهامهم، جمعتهم على ذلك راية واحدة ألا وهي: (العداء للإسلام).

يذكر محمد حسين هيكل[٢] في كتابه (حياة محمد) وتحت عنوان (المستشرقون والمقررات الدينية): أن مباحث هؤلاء المستشرقين تريد الاستدلال على أن القرآن ليس وثيقة تاريخية لا محل لريبة فيها، بل يريدون أن يثبتوا بأن القرآن الكريم قد حُرِّف بعد وفاة النبي ﷺ، وفي صدر الإسلام،

(١) فضلاً عن غيرهم.

(٢) محمد حسين هيكل (١٨٨٨ ـ ١٩٥٦ م) كاتب و سياسي مصري.

وأضيفت إليه أثناء ذلك آيات لأغراض دينية، أو سياسية[١].

فمن أهم الطرق التي استخدمت للهجوم على القرآن الكريم هو تطبيق منهج (الأثر والتأثر) الذي استخدمه المستشرقون بطريقة جاهزة بحيث فسروا القرآن بأنه مستمد من عوامل خارجية بفعل عوامل (الأثر والتأثر)، نافين علاقة القرآن الكريم بالله سبحانه وتعالى، مصدر الكتب السماوية كلها.

في هذا البحث المتواضع حاولنا التطرق لجملة من الشبهات التي أثيرت على القرآن الكريم ومن تلك الشبهات التي أثيرت حول (جمع القرآن الكريم)، وما أثير حول (فواتح السور القرآنية) أو (الحروف المقطعة) وشبهات أخرى سنتطرق إليها بالأثناء. عازمين الرد على هذه الشبهات الباطلة، متطرقين إلى ذكر آراء علمائنا الأعلام في كل مقام يحتاج إلى التأييد والتعضيد. سائلين منه العون والتوفيق، إنه سميع الدعاء.

و الحمد لله رب العالمين

المؤلف

النجف الأشرف ١٤٣٩ هـ

(١) المستشرقون والقرآن، ص ٢٧٢، نقلاً عن (حياة محمد) محمد حسين هيكل: ص٢٩ ـ ٣٠.

القسم الأول

شبهات
حول جمع القرآن الكريم

مع جمع القرآن الكريم

في تاريخ الإسلام العديد من المسائل التي كَثُرَ فيها الأخذ والرد، وكُفرت من أجلها جماعات وأفراد، وسفكت لأجلها الدماء.

و يمكن أن نشير إلى مسألتين لا زالتا لحد الآن مثار جدل، وأخذ ورد، أولهما مسألة (الإمامة)[1] حتى قال عنها عبد الكريم الشهرستاني[2]: (ما سُل سيف في الإسلام على قاعدة دينية مثل ما سُل على الإمامة في كل زمان)[3].

و المسألة الأخرى هي (القرآن الكريم)[4] بكل ما به وبالعديد من مسائله. يضاف إلى ذلك مسألة مهمة وهي مسألة (جمع القرآن)، ومن الذي جمعه؟

---

(١) ان للإمامة في مدرسة أهل البيت عليهم السلام مكانة كبرى، فهي منصب إلهي كمنصب النبوة و مكملة له.

(٢) ابو الفتح تاج الدين محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر المشهور بالشهرستاني (ت ٥٤٨هـ) صاحب كتاب (الملل و النحل) ذائع الصيت.

(٣) الملل و النحل، ج٢، ص ٣١ ـ ٣٢.

(٤) كالمسألة التي أثيرت حول (خلق القرآن)، و هل ان القرآن (قديم) أم (حادث) المسألة التي ظهرت في عصر المأمون العباسي سنة (٢١٢ هـ) و قيل سنة (٢١٨ هـ)، و هذه المسألة أثارها (المعتزلة) و حصلت على تأييد المأمون العباسي، استمرت هذه (المحنة) لمدة (١٥) عاماً كما تشير إلى ذلك المصادر التاريخية.

وما صحة الادعاءات حول عدم جمع النبي الأكرم ﷺ للقرآن في حياته؟، وكذلك ما صحة ادعاءات جمع أبي بكر أو عمر أو عثمان بن عفان للقرآن؟

فهل ان الرسول الأكرم ﷺ ـ وبحسب ادعاء المدعين ـ الذي ترك الأمة بلا خليفة من بعده ـ لا سمح الله ـ ايضاً ترك الأمة من دون أن يجمع لها قرآنها ومصدر تشريعها الأول؟ هل ترك الكتاب الذي انزله الله تعالى عليه؟!

في هذا البحث حول مسألة (جمع القرآن الكريم) سنتطرق لهذه التساؤلات وبشكل عام ومفيد، بعيداً عن الإسهاب، تاركين المجال لمن يريد التبحر أكثر، إذ ان هذه المسألة قد كُتبت فيها عشرات الكتب، وتكفلت بها الابحاث المختصة.

في حقيقة الجمع والمراد منه

١ـ لقد فسرت (مدرسة الخلفاء) لفظ الجمع[١] في رواية أنس بن مالك[٢] القائلة: (مات النبي ولم يجمع القرآن غير أربعة: أبو الدرداء، ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وأبو زيد)[٣].

إذ فسروها بأن المراد بها: أن هؤلاء جمعوا القرآن في (الصدور) لا في السطور، أي أن الجمع عندهم كان جمع حفظ لا جمع تدوين وكتابة.

و هذا التفسير ـ وبكل صراحة ـ يخالف المألوف عند اللغويين، لأن الجمع لغةً يشمل الكتابة والحفظ معاً.

(ولا يخفى عليك بأن " الجمع " المعني في الأخبار هو أعم مما في الصدور أو في السطور، وترجيح أحدهما على الآخر ترجيحٌ بلا مرجح، خصوصاً حينما نرى أن الصحابة كانوا قد جمعوا القرآن لكي ينفعوا الآخرين ويعلموهم

---

(١) أي جمع القرآن الكريم.

(٢) أنس بن مالك النجاري الخزرجي الأنصاري (ت ٩٣ هـ).

(٣) صحيح البخاري، ج٤، ١٩١٣، ح ٤٧١٨.

الكتاب العزيز، وأن ذلك لا يتم على وجهه الأكمل إلا بالكتابة خاصة لمن كان يجيد القراءة والكتابة من الصحابة. وإن فكرة حصر الجمع بالحفظ كانت فكرة سياسية يقف عليها كل من تصفح الوثائق والمستندات التراثية عند الجمهور... ولو لم تكن الكتابة معروفة، ولم يكن القرآن موجوداً في الحياة الاجتماعية، فماذا يعني إرسال عمرو بن حزم إلى اليمن لتعليمهم القرآن؟... وهذا يعني بأن القرآن كان موجوداً بين الدفتين، ومدوناً ضمن قراطيس متعددة...)[١].

إن هناك أكثر من معنى قد طرح للمراد بلفظة (الجمع) والتي منها:

أ) الجمع: ويراد به ترتيب الصحف وجمعها في كتاب واحد.

ب) الجمع: بمعنى (جمع) النسخ المدونة من أيدي الناس.

ج) الجمع: بمعنى التدوين، أي جمع السور مدونة في مكان واحد.

د) الجمع: بمعنى الحفظ، أي الجمع في الصدور.

٢ـ ان التشدق بحجة (معركة اليمامة)[٢] وانها السبب الرئيس وراء جمع القرآن ما هو الا مستند ضعيف جداً من حيث الوقائع التاريخية للواقعة ككل،

---

(١) جمع القرآن، علي الشهرستاني، ج١، ص ٤٣ ـ ٤٥.

(٢) معركة اليمامة أو معركة (عقرباء) و التي وقعت سنة (١١ هـ) الموافق (٦٣٢ م) في عهد أبي بكر، و عُدت من معارك (الردة) كانت ضد بني حنيفة و قائدهم (مسيلمة الحنفي) الذي ادعى النبوة و المعروف بـ (مسيلمة الكذاب).

ومن حيث نفس الاشخاص الذين قتلوا من المسلمين والتي تشير بعض المصادر الى انهم جديدو عهد بالإسلام، وإلى سبب آخر هو: اعطاء فضل للخلفاء الثلاث كونهم قد جمعوا القرآن. كل ذلك في كذب صريح وواضح لإثبات فضائل ولو على حساب الطعن بالنبي محمد ﷺ.

٣ـ ان التركيز على اسم (عثمان بن عفان)[١] في جمع وخط المصحف الشريف فيه إبعاد للآخرين، وإجحاف بحق كبار الصحابة، بل انه اجحاف بحق اهل البيت عليهم السلام وبالخصوص امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام.

فهو القائل عليه السلام: «ولم يجمع بيت واحد يومئذ في الإسلام غير رسول الله ﷺ وخديجة، وأنا ثالثهما، أرى نور الوحى والرسالة، وأشم ريح النبوة، ولقد سمعت رنة الشيطان حين نزل الوحي عليه ﷺ، فقلت: يا رسول الله ما هذه الرنة؟ فقال: هذا الشيطان قد أيس من عبادته، إنك تسمع ما أسمع، وترى ما أرى، إلا أنك لست بنبي ولكنك لوزير، وإنك لعلى خير»[٢].

٤ـ بروز خط (أيديولوجي) ممنهج في ابعاد اهل البيت عليهم السلام عن جمع وفهم القرآن الكريم، وبالخصوص أمير المؤمنين عليه السلام رغم ان النبي ﷺ قد امر في احاديث مستكثرة بأخذ القرآن منهم فقط.

رغم أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام هو القائل: «فما نزلت على

---

(١) عثمان بن عفان الأموي (٤٧ ق. هـ ـ ٣٥ هـ).

(٢) نهج البلاغة، الخطبة ١٩٠.

رسول الله آية من القرآن إلا أقرأنيها وأملاها عليّ، فكتبتها بخطي، وعلمني تأويلها وتفسيرها، وناسخها ومنسوخها، ومحكمها ومتشابهها، وخاصها وعامها...»[١].

و في مقابلها روايات كثيرة[٢] موضوعة تقلل من قدر علي بن أبي طالب عليه السلام رويت جملة منها عن (الشعبي)[٣] والتي لا يقبلها العقل السليم مطلقاً.

قال محمد بن عبد الكريم الشهرستاني[٤]: (... ودع هذا كله، كيف لم يطلبوا جمع علي بن أبي طالب؟ أوَ ما كان أَكْتَبَ من زيد بن ثابت؟ أوَ ما كان أَعْرَبَ من سعيد بن العاص؟ أوَ ما كان أَقْرَبَ إلى رسول الله من الجماعة؟ بل تركوا بأجمعهم جمعه، واتخذوه مهجوراً، ونبذوه ظهرياً، وجعلوه نسياً منسياً؟ وهو لما فرغ من تجهيز رسول الله وغسله وتكفينه والصلاة عليه ودفنه، آلى أن لا يرتدي برداء إلا لجُمعة، حتى يجمع القرآن، إذ كان مأموراً بذلك أمراً جزماً. فجمَعَه كما أُنزل، من غير تحريف وتبديل وزيادة ونقصان، وقد كان أشار النبي إلى مواضع الترتيب والوضع والتقديم والتأخير. قال أبو حاتم: إنه وضع كل آية جنب ما يشبهها... بلى والله، إن القرآن محفوظ، لقوله تعالى: ﴿ إِنَّا

(١) الكافي، ج١، ص ٦٤، ح١.

(٢) تأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة، ج١، ص ٢٣٣ ـ ٢٣٤، و الصاحبي، ابن فارس، ص ٣٢٥، و الجامع لأحكام القرآن، ج١، ص ٥٣، و فتح الباري، ج٩، ص ١٣.

(٣) عامر بن شراحيل بن عبد بن ذي كبار الهمداني الشعبي (ت ١٠٠ هـ) و قيل (ت١٠٤هـ).

(٤) محمد بن عبد الكريم الشهرستاني (ت ٥٤٨ هـ).

﴿نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾، وأما حفظه بحفظ أهل البيت، فإنهما لا يفترقان قط، فلا وصل القول ينقطع؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ﴾، ولا جمع الثقلين يفترق؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾، فنسخته إن كانت عند قوم مهجورة، فهي بحمد الله عند قومٍ محفوظة مستورة ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ * فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ﴾. ولم ينقل عنه عليه السلام إنكارٌ على ما جمعه الصحابة، لا كما قال عثمان: أرى فيه لحناً وستقينه العرب، ولا كما قال ابن عباس: إن الكاتب كتبه وهو ناعس. بل كان يقرأ من المصحف ويكتب بخطه من الإمام. وكذلك الأئمة من ولده، يتلون الكتاب على ما يتلونه ويعلّمون أولادهم كذلك. والله تعالى أكرم وأمجد من أن يدع كتابه الكريم المجيد على لحن حتى تقيمه العرب...)[١].

لذا فإن ما قالته مدرسة الخلفاء بخصوص جمع القرآن الكريم، كذبته مدرسة أهل البيت، لأن جمع القرآن من قبل أناس غير معصومين يعني احتمال سهوهم وخطأهم ونسيانهم، وهو ما سيفتح الباب للمغرضين والمشككين بالقرآن.

قال الإمام الباقر عليه السلام: «ما أحدٌ من هذه الأمة جمع القرآن إلا وصي محمد صلى الله عليه وآله»[٢].

---

(١) مفاتيح الأسرار و مصابيح الأبرار، الشهرستاني، ج١، ص ١٣ ـ ١٥ من مقدمة المؤلف.

(٢) تفسير القمي، ج٢، ص٤٥١، و البحار، ج٨٩، ص ٤٨، ح٥، و بصائر الدرجات، ص٢١٤.

و قال عليه السلام: «ما ادعى أحدٌ من الناس أنه جمع القرآن كله كما أُنزل إلا كذاب، وما جمعه وحفظه كما نزله الله تعالى إلا علي بن أبي طالب والأئمة من بعده»[١].

و قال عليه السلام: «ما يستطيع أحدٌ أن يدعي أن عنده جميع القرآن كله ظاهره وباطنه غير الأوصياء»[٢].

و عن أبي الصباح، قال: والله لقد قال لي جعفر بن محمد عليه السلام: «إن الله علم نبيه صلى الله عليه وآله التنزيل والتأويل، فعلمه رسول الله علياً»[٣].

و روي ـ ايضاً ـ عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام أنه قال: «إن رسول الله صلى الله عليه وآله قال لعلي عليه السلام: يا علي القرآن خلف فراشي في الصحف والحرير والقراطيس، فخذوه واجمعوه، ولا تضيّعوه كما ضيّعت اليهود التوراة. فانطلق علي عليه السلام فجمعه في ثوبٍ أصفر، ثم ختم عليه في بيته، وقال: لا أرتدي حتى أجمعه. فإنه كان الرجل ليأتيه فيخرج إليه بغير رداء، حتى جمعه»[٤].

نعم، (ان أخبار جمع الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام للمصحف موجودة في غالب الكتب الحديثية والفقهية والكلامية والتفسيرية الشيعية، وهي

---

(١) الكافي، ج١، ص ٢٢٨، ح ١ باب انه لم يجمع القرآن كله إلا الأئمة عليهم السلام.

(٢) م. ن، ج١، ص ٢٢٨، ح ٢.

(٣) م. ن، ج ٧، ص ٤٤٢، ح ١٥، و تهذيب الأحكام، ج٨، ص ٢٨٦، ح ١٠٥٢.

(٤) تفسير القمي، ج٢، ص ٤٥١، البحار، ج٨٩، ص ٤٨، ح ٧.

مسلمة عندهم، وكذا هي موجودة عند الفريق الآخر، ولكن في بعضها أن الإمام عليه السلام قد جمعه في ثلاثة أيام، وفي أخرى سبعة أو تسعة أيام، وفي ثالثةٍ ستة أشهر، وبما أن الفارق كبير بين أن يكون جمعه في ثلاثة أيام أو سبعة أيام وبين أن يكون في ستة أشهر، فكان علينا السعي للجمع بين تلك الأقوال، وخصوصاً من خلال استفادتنا من كلام الإمام عليه السلام لطلحة وما جاء في الكافي عنه عليه السلام بأن له نسختين من المصحف، إحداهما مجردة وفيها **كل آية أنزلها الله في كتابه على محمد**، والأُخرى فيها نص القرآن مع تفسيره وتأويله لقوله: **وتأويل كل آية أنزلها على محمد**. إذن فإخبار مصحف أمير المؤمنين عليه السلام مستفيضة إن لم نقل بتواترها في كتب الشيعة، وهي كذلك موجودة في كتب الجمهور...)[١].

٥ـ اتبعت (مدرسة الخلفاء)[٢] حول جمع القرآن منهجاً؛ بأن جمع القرآن تم بشهادة شاهدين، أو حتى بشاهدٍ واحد، أي: قالوا بإمكان ثبوت القرآن بالبينة والشهود، وبأخبار الآحاد، في مقابل ذلك يقولون: بتواتر القراءات العشر عن رسول الله صلى الله عليه وآله واتهموا من لم يقل بذلك بالكفر[٣].

---

(١) جمع القرآن، علي الشهرستاني، ج١، ص ٣٣٠ ـ ٣٣١.

(٢) مدرسة الخلفاء: أو (الجماعة) القائلة بأن ابا بكرٍ و عمر و عثمان هم خلفاء النبي صلى الله عليه وآله، رغم ادعائهم بانه صلى الله عليه وآله لم يعين خليفة للأمة من بعده لا سمح الله.

(٣) مناهل العرفان، الزرقاني، ج١، ص ٣٠١.

قال الشيخ الطبرسي[١]: (ان القرآن كان على عهد رسول الله ﷺ مجموعاً مؤلفاً على ما هو عليه الآن، واستدل على ذلك بأن القرآن كان يُدرس ويحفظ جميعه في ذلك الزمان، حتى عُين على جماعة من الصحابة ختموا القرآن على النبي عدة ختمات، وكل ذلك يدل على انه كان مجموعاً مرتباً غير مبتور ولا مبثوث. وذكر أن من خالف في ذلك من الإمامية والحشوية لا يُعتد بخلافهم؛ فإن الخلاف في ذلك مضاف إلى قوم من أصحاب الحديث نقلوا أخباراً ضعيفة ظنوا صحتها، لا يرجع بمثلها عن المعلوم المقطوع على صحته)[٢].

(١) ابو علي الفضل بن الحسن بن الفضل الطبرسي المعروف بأمين الإسلام (ت ٥٤٨ هـ).

(٢) مجمع البيان، الطبرسي، ج١، ص ٤٣.

تَحَقُق الجَمع في عهد رسول الله ﷺ

لقد حاولت أكثر الروايات الواردة عن جمع القرآن الكريم، وبالخصوص ما موجود منها عند مدرسة الخلفاء أن تثبت بأن القرآن الكريم لم يكن مجموعاً في كتاب واحد (مصحف)[1] في عهد النبي ﷺ، وأنه كان موزعاً سوراً وآياتٍ مكتوبة عند هذا وذاك وعلى (العسب والرقاق واللخاف وصدور الرجال) كما تنقل ذلك المصادر السُنية[2].

إن المتتبع للمصادر التاريخية والحديثية الصحيحة والمنصفة سيجزم وبما لا يقبل الشك بأن القرآن الكريم كان مجموعاً في (مصحف) من عهد النبي الأكرم ﷺ، وان نسخه المباركة كانت موجودة في بيت النبي الأكرم ﷺ، وفي مسجده، وعند أهل بيته، بل عند كثيرين.

---

(١) صحف، صحيفة، الصحيفة: التي يكتب فيها، و الجمع صَحائفُ و صُحُفٌ و صُحْفٌ. و المُصْحَفُ و المِصْحَفُ؛ الجامع للصُحُف المكتوبة بين الدفتين. فالمصحف: هي الأوراق و المداد الذي كتبت به الآيات القرآنية المباركة. بينما القرآن: هو كلام الله تعالى المنزل على سيدنا و نبينا محمد ﷺ بواسطة جبريل عليه السلام و المتعبد بتلاوته.

(٢) راجع على سبيل المثال: صحيح البخاري، ج٨، ص ١١٩، و باقي كتب الصحاح حول جمع القرآن.

(ان المشكلة كانت مشكلة الدولة التي خافت من اعتماد نسخة من القرآن مكتوبة، لتكون النسخة الرسمية لجميع المسلمين. فالدولة، والدولة هنا تعني الخليفة عمر، رفضت نسخة القرآن التي جاء بها علي بن أبي طالب عليه السلام.. كما نهت الأنصار أن يقدموا نسخة قرآن على أنها النسخة المعتمدة، لأن ذلك برأيه من حق الدولة وحدها)[١].

إن من المؤيدات لكون القرآن الكريم كان مجموعاً في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله متعددة منها:

١ـ الآيات القرآنية:

فإن العديد من الآيات القرآنية قد أكدت على العلم، والقلم، والتدوين، والكتابة، فكيف تأمر بشيء لا وجود له كما يدعي المدعون؟

إذ نقرأ في القرآن الكريم آيات دالة على التدوين والكتابة منها:

قال تعالى: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ﴾ سورة العلق، الآيات (١) ـ (٥).

و هي أولى الآيات النازلة على النبي الأكرم صلى الله عليه وآله الحاثة على القراءة والكتابة والعلم.

---

(١) تدوين القرآن، علي الكوراني، ص ٢٣١.

و قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى فَٱكۡتُبُوهُۚ وَلۡيَكۡتُب بَّيۡنَكُمۡ كَاتِۢبُۢ بِٱلۡعَدۡلِۚ وَلَا يَأۡبَ كَاتِۢبٌ أَن يَكۡتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُۚ فَلۡيَكۡتُبۡ وَلۡيُمۡلِلِ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ وَلۡيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبۡخَسۡ مِنۡهُ شَيۡـٔٗاۚ فَإِن كَانَ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ سَفِيهًا أَوۡ ضَعِيفًا أَوۡ لَا يَسۡتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلۡيُمۡلِلۡ وَلِيُّهُۥ بِٱلۡعَدۡلِۚ وَٱسۡتَشۡهِدُواْ شَهِيدَيۡنِ مِن رِّجَالِكُمۡۖ فَإِن لَّمۡ يَكُونَا رَجُلَيۡنِ فَرَجُلٞ وَٱمۡرَأَتَانِ مِمَّن تَرۡضَوۡنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحۡدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحۡدَىٰهُمَا ٱلۡأُخۡرَىٰۚ وَلَا يَأۡبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْۚ وَلَا تَسۡـَٔمُوٓاْ أَن تَكۡتُبُوهُ صَغِيرًا أَوۡ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِ وَأَقۡوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ وَأَدۡنَىٰٓ أَلَّا تَرۡتَابُوٓاْ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةٗ تُدِيرُونَهَا بَيۡنَكُمۡ فَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَلَّا تَكۡتُبُوهَاۗ وَأَشۡهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعۡتُمۡۖ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِۢبٞ وَلَا شَهِيدٞۚ وَإِن تَفۡعَلُواْ فَإِنَّهُۥ فُسُوقُۢ بِكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾ سورة البقرة، الآية (٢٨٢).

و هي آية (الدَيْن) أطول آية في كتاب الله تعالى، التي أمر تعالى فيها عموم المسلمين بكتابة الديون حتى اليومية منها، مع استشهاد الشهود على ذلك كي لا تضيع الحقوق.

و قال تعالى: ﴿نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ﴾ سورة القلم، الآية (١).

٢ـ الروايات:

قال رسول الله ﷺ: «من قرأ القرآن حتى يستظهره ويحفظه، أدخله الله

الجنة، وشفعه في عشرة من أهل بيته كلهم قد وجبت لهم النار»[١].

روي عن زيد بن ثابت قال: (كنت أكتب الوحي لرسول الله ﷺ، وكان إذا نزل عليه الوحي أخذته برحاء شديدة... فكنت أدخل عليه بقطعة الكتف أو كسرة، فأكتب وهو يملي علي، فإذا فرغت قال: «اقرأه» فأقرأه، فإن كان فيه سقط أقامه، ثم أخرج إلى الناس)[٢].

عن عثمان بن أبي العاص انه حين جاء وفد ثقيف إلى النبي ﷺ قال عثمان: (فدخلت على رسول الله ﷺ فسألته مصحفاً كان عنده فأعطانيه)[٣].

٣ـ أقول العلماء واهل الاختصاص:

ما أورده غانم قدوري الحمد بقوله: (و قد سن ﷺ جمع القرآن وكتابته وأمر بذلك وأملاه على كَتبته، وإنه ﷺ لم يمت حتى حفظ جميع القرآن جماعة من الصحابة، وحفظ الباقون منه جميعه متفرقاً، أو عرفوه وعلموا مواقعه ومواضعه على وجه ما يعرف ذلك اليوم من ليس من الحفاظ لجميع القرآن)[٤].

ما ذكره محمد قبيسي في كتابه: (إن حقيقة جمع القرآن في عهد الرسول الأكرم تُعد من الحقائق التاريخية الناصعة التي لا تحتاج إلى مزيد من

---

(١) مجمع البيان، ج١، ص ٨٥.

(٢) كنز العمال، ج٢، ح ٤٣٤٠.

(٣) مجمع الزوائد، ج٩، ٣٧١.

(٤) رسم المصحف، غانم قدوري الحمد، ص ٩٩.

البحث والاستقصاء وإثارة الشبهات، وتعد أيضاً ضرورة ثابتة تاريخياً دامغة لكل الأقاويل والشبهات، ولكل ما دُس من الأخبار والروايات حول هذه المسألة)[١].

ما قال المستشرق الألماني (نولدكه): (عدا التدوين الذي كان محمد نفسه وراءه ربما كانت هناك أيضاً عمليات تدوين أخرى تتفاوت في حجمها، قام بها مناصرون غيورون لتعليمه بأنفسهم أو أوكلوا بها آخرين. إلى جانب هذا، كان هناك الحفظ في الذاكرة، الذي كان في وقت كانت القراءة والكتابة من الفنون النادرة ذا أهمية كبيرة)[٢].

قول الشيخ محمود أبو رية[٣] بهذا الصدد ما نصه: (من أغرب الأمور ومما يدعو إلى الحيرة، أنهم لم يذكروا اسم علي في من عُهِد إليهم بجمع القرآن وكتابته، لا في عهد أبي بكر ولا في عهد عثمان! ويذكرون غيره ممن هم أقل منه درجة في العلم والفقه! فهل كان عليٌّ لا يحسن شيئاً من هذا الأمر؟ أو كان من غير الموثوق بهم؟ أو ممن لا يصح استشارتهم أو إشراكهم في هذا الأمر؟

اللهم إن العقل والمنطق ليقضيان بأن يكون عليٌّ أول من يُعهد إليه بهذا الأمر، وأعظم من يشارك فيه، وذلك بما أُتيح له من صفات ومزايا لم تتهيأ

---

(١) كيف جمع القرآن: مراحل التدوين، محمد قبيسي، ص ٢٨.

(٢) تاريخ القرآن بتصحيح شيفالي، ج٢، ص ٢٣٩.

(٣) الشيخ محمود ابو رية (١٨٨٩ ـ ١٩٧٠ م).

لغيره من بين الصحابة جميعاً؛ فقد رباه النبي ﷺ على عينه، وعاش زمناً طويلاً تحت كَنفه، وشهد الوحي من أول نزوله إلى يوم انقطاعه، بحيث لم يند عنه آية من آياته! فإذا لم يُدعَ إلى هذا الأمر الخطير، فإلى أي شيء يُدعى؟! وإذا كانوا قد انتحلوا معاذير ليسوغوا بها تخطيهم إياه في أمر خلافة أبي بكر فلم يسألوه عنها ولم يستشيروه فيها، فبأي شيء يعتذرون من عدم دعوته لأمر كتابة القرآن؟ فبماذا نعلل ذلك؟ وبماذا يحكم القاضي العادل فيه؟ حقاً إن الأمر لعجيب، وما علينا إلا أن نقول كلمةً لا نملك غيرها، وهي: لك الله يا عليّ، ما أنصفوك في شيء!)[١].

ما ذكره السيد علي الشهرستاني[٢] في كتابه (جمع القرآن) بقوله: (هذا المصحف المتداول اليوم بين أيدي المسلمين هو ليس مصحف أبي بكر ولا مصحف عمر ولا مصحف عثمان، بل هو مصحف رسول الله ومصحف أمير المؤمنين علي ومصحف جميع الصحابة، وهو الكتاب الذي نزل من اللوح المحفوظ إلى سماء الدنيا أو على صدر النبي محمد، لأن القراءات المنسوبة إلى الخلفاء في كتب التفسير والقراءات ـ وكذا المنسوبة إلى حفصة وعائشة ـ لا توجد في هذا المصحف الذي اشتهر بالمصحف العثماني والمدون تحت إشراف الخلفاء الثلاثة وحفصة وعائشة، وهي تؤكد بأنها قراءات شاذة لا تعتمد

(١) أضواء على السنة المحمدية، ص ٢٤٩.

(٢) السيد علي بن عبد الرضا بن زين العابدين بن محمد حسين الشهرستاني الكربلائي، المولود في كربلاء عام (١٩٥٨ م)، رجل دين عالم و مؤلف معاصر.

لمخالفتها للمشهور عن رسول الله. فقولهم بأن عثمان أخذ مصحفه على ضوء مصحف أبي بكر ـ الموجود عند حفصة ـ أو أن عثمان اعتمد مصحف عائشة وأمثال ذلك، يدعونا للقول بأن تلك القراءات المحكية عنهم غير ثابتة النسبة إليهم، أو أن تلك المصاحف لا تصح نسبتها. إذن اختلافات القراءات المحكية عن هؤلاء الثلاثة وحفصة وعائشة مع المصحف الرائج اليوم تشير إلى كون هذا القرآن المتداول بين أيدينا ليس مطابقاً لقراءاتهم أو مكتوباً بحرفهم كما يزعمون، بل هو القرآن الذي كان يقرأ به المسلمون جميعاً على عهد رسول الله، والذي دون على عهده، وهو القرآن الذي كان يقرأ به رسول الله في صلاته ويعلمهم به على مكث وهدوء، بمعنى أن هذا القرآن ـ والذي كان ينزل منجماً ـ قد قُسمت آياته وسوره على طول ٢٣ عاماً، فكانت حصة المسلمين منه في كل عام بنسبة واحد إلى ٢٣. وعليه فانه لم يكن ما جمعه الخلفاء الثلاثة كما يدعون...)[١].

٤ـ الدلالات العقلية:

أولاً: إن اطلاق لفظ الكتاب على القرآن الكريم في كثير من آياته الكريمة، إذ لا يصح إطلاق الكتاب عليه وهو في الصدور، بل لا بد أن يكون مكتوباً مجموعاً.

مضافاً للحديث الذي ورد عنه ﷺ: «إني تاركٌ فيكم الثقلين: كتاب الله،

(١) جمع القرآن، علي الشهرستاني، ج١، ص ٤٩٥ ـ ٤٩٦.

وعترتي»[١].

ثانياً: إن اطلاق لفظ (المصحف) على الكتاب الكريم في الروايات الكثيرة يدل على أنها ليست لفظة ظهرت في زمان (الخلفاء)، بل ان القرآن الكريم كان مجموعاً في (مصحف)[٢] منذ عهد النبي الأكرم ﷺ.

ثالثاً: الروايات الكثيرة المعارضة لروايات كون ابي بكر أو عمر أو عثمان هم من جمع القرآن بعد أن كان مفرقاً.

رابعاً: أقوال العلماء المؤكدة على جمع النبي الأكرم ﷺ للقرآن من خلال ما استدلوا به من أدلة عقلية ونقلية على ذلك.

---

(١) صحيح مسلم، ج٤، ١٨٧٣، و سنن الترمذي، ج ٥، ٦٦٢، و سنن الدارمي، ج٢، ٤٣١، ومسند أحمد، ج٤، ٣٦٧ و ٣٧١ و ج٥، ١٨٢، و المستدرك، ج٣، ١٤٨.

(٢) صحف، صحيفة، الصحيفة: التي يكتب فيها، و الجمع صَحائفُ و صُحُفٌ و صُحُفٌ. والمُصْحَفُ و المِصْحَفُ؛ الجامع للصُحُف المكتوبة بين الدفتين. فالمصحف: هي الأوراق والمداد الذي كتبت به الآيات القرآنية المباركة. بينما القرآن: هو كلام الله تعالى المنزل على سيدنا و نبينا محمد ﷺ بواسطة جبريل عليه السلام و المتعبد بتلاوته.

هل جَمعَ أبا بكرٍ القرآن؟

أخرج البخاري[1] والترمذي[2] بسنديهما (عن زيد بن ثابت أنه قال: أرسل إلي أبو بكر بعد مقتل أهل اليمامة وعنده عمر، فقال أبو بكر: إن عمر أتاني فقال: إن القتل قد استحر يوم اليمامة بالناس، وإني أخشى أن يستحر القتل بالقرّاء في المواطن، فيذهب كثير من القرآن إلا أن تجمعوه، وإني لأرى أن تجمع القرآن.

قال أبو بكر: قلت لعمر: كيف أفعل شيئاً لم يفعله رسول الله؟ فقال عمر: هو والله خيرٌ، فلم يزل عمر يُراجعني فيه، حتى شرح الله لذلك صدري، ورأيت الذي رأى عمر.

قال زيد: وعمر عنده جالس لا يتكلم، فقال أبو بكر: إنك رجل شاب عاقل، ولا نتهمك، كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ، فتتبع القرآن فاجمعه، [قال زيد] فوالله لو كلفني نقل جبلٍ من الجبال ما كان أثقل علي مما أمرني

---

(١) ابو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦ هـ) و بخارى إحدى مدن اوزبكستان المعروفة، قيل انها كانت تابعة للإمبراطورية الفارسية.

(٢) ابو عيسى محمد بن عيسى بن سَورة الترمذي (ت ٢٧٩ هـ) و ترمذ مدينة جنوب اوزبكستان كانت سابقاً موصولة مع مدينة هرات الأفغانية.

به من جمع القرآن.

قلت: كيف تفعلان شيئاً لم يفعله رسول الله؟

فقال أبو بكر: هو والله خيرٌ.

فلم أزل أراجعه حتى شرح الله صدري للذي شرح الله صدر أبي بكر وعمر، فقمت فتتبعت القرآن أجمعه من الرقاع والأكتاف والعُسب وصدور الرجال، حتى وجدت من سورة التوبة آيتين مع خزيمة الأنصاري لم أجدهما مع أحد غيره ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾، وكانت الصحف التي جمع فيها القرآن عند أبي بكر حتى توفاه الله، ثم عند عمر حتى توفاه الله، ثم عند حفصة بنت عمر)[1].

و نصوص أخرى كثيرة دارت هذا المدار ذُكرت في عديدٍ من الكتب[2].

ملاحظات حول هذا القول:

إن من الملاحظات المسجلة على الروايات الواردة بهذا الصدد:

١ـ شدة الاضطراب فيها، الذي يصل إلى حد التهافت، فما على القارئ

(١) صحيح البخاري، ج٤، ص ١٧٢٠، ح ٤٤٠٢، و سنن الترمذي، ج٥، ص ٢٨٣، ح ٣١٠٣، و المصاحف، ج١، ص ١٥٨، ح ٢٤، و كنز العمال، ج ٢، ص ٢٤١، ح ٤٧٥١.

(٢) كـ: مسند أحمد بن حنبل، ج٥، ص ١٣٤، ح ٢١٢٦٤، و فتح الباري، ج٩، ص ١٦.

إلى تتبع هذه الروايات ليلمس (التضاد) الواضح في بعض فقراتها، والاضطراب في عدم تحديد من الذي أقترح جمع المصحف، هل هو ابو بكر أم زيد بن ثابت أم عمر بن الخطاب؟!

٢ـ الطعن بالرسول الأكرم ﷺ بأنه قد أهمل القرآن، على حساب رفع شأن أبي بكر وعمر وعثمان، ولو على حساب صاحب الرسالة وعلى حساب صاحب القرآن نفسه، بأسلوب فج بعيد عن روح الإسلام، بل بأسلوب معادي للإسلام.

٣ـ رواية عبد الله بن مسعود[١] المهمة جداً في المقام والتي نصها:

قيل لعبد الله بن مسعود ألا تقرأ على قراءة زيد؟ قال: مالي ولزيد ولقراءة زيد، لقد أخذت من رسول الله ﷺ سبعين سورة، وإن زيد بن ثابت ليهودي له ذؤابتان[٢].

و في روايات أخرى كذلك، أو قوله: وإن الذي يسألون أن أقرأ على قراءته في صلب رجل كافر[٣].

٤ـ جملة الروايات المعارضة لهذا النص وغيره.

---

(١) عبد الله بن مسعود الهذلي (ت ٣٢ هـ)، ابو عبد الرحمن، الملقب بـ (ابن أم عبد).

(٢) تاريخ المدينة، ابن شبة، ج٣، ص ١٠٠٦، و الإيضاح للفضل بن شاذان، ص ٥١٩، و الدرجات الرفيعة، ص ٢٢.

(٣) المصدر السابق.

فان روايات جمع القرآن بعد وفاة النبي ﷺ (معارضة بما دل على أن القرآن كان قد جمع، وكتب على عهد رسـول الله ﷺ فقد روى جماعة منهم ابن أبي شيبة، وأحمد بن حنبل، والترمذي، والنسائي، وابن حبان، والحاكم، والبيهقي، والضياء المقدسي)[١].

روى الطبراني[٢]، وابن عساكر[٣]، عن الشعبي قال: (جمع القرآن على عهد رسول الله ﷺ ستة من الأنصار: أُبي بن كعب، وزيد بن ثابت، ومعاذ بن جبل، وأبو الدرداء، وسعد بن عبيد، وأبو زيد، وكان مجمع بن جارية قد أخذه إلا سورتين أو ثلاث)[٤].

وأخرج النسائي[٥] بسند صحيح، عن عبد الله بن عمر قال: (جمعت القرآن فقرأت به كل ليلة، فبلغ النبي ﷺ فقال: أقرأه في شهر)[٦].

لذا فإن (إسناد جمع القرآن إلى الخلفاء أمر موهوم، مخالف للكتاب، والسنة، والإجماع، والعقل)[٧].

---

(١) البيان، ص ٢٤٨.

(٢) سليمان بن أحمد اللخمي الشامي الطبراني (ت ٣٦٠ هـ)، من علماء الحديث.

(٣) ابو القاسم علي بن الحسين بن هبة الله بن عساكر الدمشقي (٤٩٩ ـ ٥٧١ هـ).

(٤) منتخب كنز العمال، ج ٢، ص ٤٨.

(٥) أبو عبد الرحمن، أحمد بن علي بن شعيب النسائي الخراساني (ت ٣٠٣ هـ) في مكة، له (السنن الكبرى و الصغرى).

(٦) الإتقان، ج١، ص ١٢٤.

(٧) البيان، ص ٢٥٦.

وقد روي عن زيد بن ثابت أنه قال: «كنت أكتب الوحي لرسول الله ﷺ، وكان إذا نزل عليه الوحي أخذته برحاء شديدة... فكنت أدخل عليه بقطعة الكتف أو كسرة، فأَكتُب وهو يملي عليّ، فإذا فرغت قال: أقرأه، فأقرؤه، فإن كان فيه سقط أقامه، ثم أخرج إلى الناس»[١].

وعن ابن عباس[٢] قال: «إن رسول الله ﷺ كان إذا نزل عليه الشيء دعا من كان يكتب فيقول: ضعوا هذه الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا»[٣].

و عن علي بن رباح[٤] قال: «جَمَعَ القرآن على عهد رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب وأُبي بن كعب»[٥].

قال السيد المرتضى (علم الهدى)[٦]: «إن القرآن كان على عهد

---

(١) مجمع الزوائد، الهيتمي، ج١، ص ١٥٢.

(٢) عبد الله بن عباس بن عبد المطلب (حبر الأمة)، ولد في الشعب قبل الهجرة بثلاث سنين، وتوفي سنة (٦٨ هـ).

(٣) المستدرك على الصحيحين، الحاكم، ج ٢، ص ٢٢٢، و الجامع الصحيح، الترمذي، ج ٥، ص ٢٧٢، و البرهان، الزركشي، ج١، ص ٣٠٤، و تفسير القرطبي، ج١، ص ٦٠، و مسند أحمد، ج ١، ص ٥٧ و٦٩.

(٤) علي بن رباح بن قصير بن قشيب اللخمي المصري، كانت وفاته عام (١١٤ هـ)، و قيل (١١٧ هـ).

(٥) تاريخ القرآن، الزنجاني، ص ٤٧.

(٦) السيد المرتضى المعروف بـ(علم الهدى) و بالشريف المرتضى (٣٥٥ ـ ٤٣٦ هـ).

رسول الله ﷺ مجموعاً، مؤلفاً على ما هو عليه الآن، واستُدل على ذلك بأن القرآن كان يدرس ويحفظ جميعه في ذلك الزمان، حتى عيّن على جماعة من الصحابة في حفظهم له، وأنه كان يعرض على النبي ﷺ ويتلى عليه، وأن جماعة من الصاحبة مثل عبد الله بن مسعود وأبي بن كعب وغيرهما ختموا القرآن على النبي ﷺ عدة ختمات، وكل ذلك يدل بأدنى تأمل على أنه كان مجموعاً مرتباً غير مبتور ولا مبثوث، وأن من خالف في ذلك من الإمامية والحشوية لا يعتد بخلافهم، فإن الخلاف في ذلك مضاف إلى قوم من أصحاب الحديث، نقلوا أخباراً ضعيفة، ظنوا صحتها، لا يرجع بمثلها عن المعلوم المقطوع على صحته»[١].

فنجد أن النصوص الصحيحة والموثقة تدل على حصول الجمع للقرآن في حياة النبي ﷺ، بخلاف ما أثاره المشككون من أدلة واهية، وغير صحية لا سند لها.

نعم، إن «من السذاجة والتهكم إذا قلنا أن القرآن لم يجمع على عهد النبي ﷺ وترك أمره إلى المسلمين من بعده، وشأنه شأن الخلافة والإمامة كما يدعي فريق من المسلمين، أنها موكولة إلى شورى المسلمين أو ما يتبع ذلك من تفاصيل في اختيار الحاكم. فالأدلة النقلية والعقلية ترفض هذا وذاك، فبما أن الحكومة لازمة والحاكمية تأخذ شرعيتها من المشرع. وأن ترك الرعية

(١) مجمع البيان، الطبرسي، ج١، ص ١٥.

بلا راع أمر في غاية التفاهة والسخف، وهكذا شأن القرآن ـ الذي هو شريعة السماء وحجة الحاكم على المحكوم ـ لا يمكن لعاقل أن يتصور عدم جمعه أو عدم ترتيبه في حياة النبي ﷺ»[١].

٥ـ جملة ردود العلماء على هذا الزعم الباطل والتي منها:

أولاً: قال السيد ابن طاووس[٢]: (... ولعمري إن دعواهم: أنه أهمل تأليف القرآن الشريف حتى جمعه بعده سواه بعد سنين، قول باطل لا يخفى على العارفين، وهو إن صح أن غيره جمعه بعد أعوام، يدل على أن الذي جمعه رسول الله ﷺ ما التفت الناس إليه، وجمعٌ خلاف ما جمعه عليه، هذا إذا صح ما قال...)[٣].

ثانياً: قال السيد الخوئي ﷺ عن قضية جمع القرآن: «الأخبار التي دلت على جمع القرآن في عهد أبي بكر بشهادة شاهدين من الصحابة، كلها أخبار آحاد، لا تصلح أن تكون دليلاً في أمثال ذلك... إنها معارضة بأخبار كثيرة دلت على أن القرآن قد جُمع في عهد النبي ﷺ»[٤].

ثالثاً: قال الشيخ محمود أبو رية: (... ونحن لو أخذنا بالأخبار المشهورة

---

(١) جمع القرآن، عبد الرسول الغفاري، ص ٢١.

(٢) رضي الدين علي بن موسى بن جعفر بن طاووس (٥٨٩ ـ ٦٦٤ هـ).

(٣) سعد السعود، ابن طاووس، ص ١٩٣.

(٤) البيان، السيد الخوئي، ص ٩٣.

التي رواها البخاري وهي التي فزع فيها عمر إلى أبي بكر، لكي يجمع القرآن... لو نحن أخذنا بهذا النبأ فإنه يتبين منه أن الصحابة وحدهم الذين كانوا في هذا العهد يحملون القرآن، فإذا ماتوا أو قتلوا ضاع القرآن ونُسي، وأنه ليس هناك مصدر آخر يحفظ القرآن على مد الزمان، إذ كانوا مادته وكانوا كُتابهُ!

على حين ذكروا قبل ذلك في أخبار وثيقة يرضى بها العقل ويؤيدها العلم: أن النبي ﷺ كان يكتب كل ما ينزل عليه من قرآن وقت نزوله على العُسُب واللخاف وقطع الأديم وغيرها، وأنه اتخذ لذلك كُتاباً أحصى التاريخ أسماءهم، فأين ذهبت هذه النسخة التي لا يشك فيها أحد، ولا يمتري فيها إنسان؟ لأنها هب التي حفظ الله بها القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾، وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ﴾. إن هذه النسخة الفريدة التي تحمل الصورة الصحيحة للقرآن التي ستبقى على وجه الزمن خالدة، لو كانت موجودة لأغنتهم عما وجدوه في سبيل عملهم من عناء، ولأصبحت هي المرجع الأول للقرآن في كل عصر ومصر، والتي كان يجب على عثمان أن يراجع عليها مصاحفه التي كتبها قبل أن يوزعها على الأمصار)[1].

رابعاً: قال السيد علي الشهرستاني: (... فلو كان القرآن مكتوباً وموجوداً في بيت الرسول ﷺ، فما الداعي لإعادة تأليفه وجمعه من جديد وبشاهدين؟

(١) أضواء على السنة المحمدية، ص ٢٥٢.

إلا أن يكون عملهم مصادرة لجهود الرسول وبغضاً لأمير المؤمنين علي ومضادة له، وللوقوف أمام عدم حيازته شرف جمع القرآن بعد أن كان قد حاز شرف كونه أباً للعترة الطاهرة، ووالد السبطين الحسن والحسين وزوج البتول)[١].

خامساً: قال البلخي[٢]: (... وإني لأعجب من أن يقبل المؤمنون قول من زعم أن رسول الله ترك القرآن ـ الذي هو حجته على أمته، والذي تقوم به دعوته، والفرائض التي جاء بها من عند ربه، وبه يصح دينه الذي بعثه الله داعياً إليه ـ مفرقاً في قطع الحروف ولم يجمعه، ولم يصنه، ولم يحفظه، ولم يُحكم الأمر في قراءته، وما يجوز من الاختلاف وما لا يجوز، وفي إعرابه، ومقداره، وتأليف سوره وآيه. هذا لا يتوهم على رجل من عامة المسلمين، فكيف برسول رب العالمين ﷺ؟)[٣].

٦ـ قول أبي بكر[٤]: (كيف أفعل شيئاً لم يفعله رسول الله) معارض بأكثر من حادثة قد خالف فيها القول الصريح للرسول الأكرم ﷺ ومنها اغتصابه للخلافة رغم تعيين النبي ﷺ للإمام علي بن أبي طالب عليه السلام خليفة من بعده.

---

(١) جمع القرآن، علي الشهرستاني، ج٢، ص ١٧.

(٢) ترجم له الخطيب البغدادي في تاريخه، ج٩، ص ٣٨٤، ت ٤٩٦٨.

(٣) سعد السعود، ابن طاووس، ص ١٩٣.

(٤) أبو بكر بن أبي قحافة التيمي (٥٠ ق. هـ ـ ١٣ هـ).

٧ـ رأي الأئمة من أهل بيت النبوة عليهم السلام في زيد وعلم زيد:

فعن أبي بصير، عن أبي جعفر عليه السلام قال: «الحكم حكمان حكم الله وحكم الجاهلية، وقد قال الله عز وجل: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾. واشهدوا على زيد بن ثابت لقد حكم في الفرائض بحكم الجاهلية»[١].

إن زيد بن ثابت كان دائماً في صف السلطة الحاكمة إلا في حكومة علي بن أبي طالب عليه السلام إذ أعتزل مع المعتزلين بادئ الأمر، ثم تحول بعدها إلى صف معاوية بن أبي سفيان، فرويت عنه الروايات الموضوعة في مدح معاوية وأهل الشام، والتي منها على سبيل المثال:

عن زيد بن ثابت: دخل النبي عليه السلام على أم حبيبة، ومعاوية نائم على فخذها، فقال: أتحبينه؟ قالت: نعم. قال: لله أشد حباً له منك له، كأني أراه على رفارف الجنة[٢].

و عن شماسة عن زيد بن ثابت قال: بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وآله يوماً حين قال: طوبى للشام طوبى للشام. قلت: ما بال الشام. قال: الملائكة باسطوا أجنحتها على الشام[٣].

---

(١) الكافي، ج٧، ص ٤٠٧.

(٢) سير أعلام النبلاء، الذهبي، ج٣، ص ١٢٩.

(٣) مسند أحمد، ج٥، ص ١٨٤.

هل جَمعَ عمر بن الخطاب القرآن؟

عن يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب، قال: (أراد عمر بن الخطاب أن يجمع القرآن، فقام في الناس، فقال: من كان تلقى من رسول الله ﷺ شيئاً من القرآن فليأتنا به، وكانوا كتبوا ذلك في الصحف والألواح والعُسب، وكان لا يقبل من أحد شيئاً حتى يشهد شهيدان، فقُتل وهو يجمع ذلك إليه...)[1].

و عن ابن أبي داود[2] في المصاحف: (عن الحسن: أن عمر بن الخطاب سأل عن آية من كتاب الله، فقيل: كانت مع فلان فقتل يوم اليمامة، فقال: إنا لله، وأمر بالقرآن فجمع، فكان أول من جمعه في المصحف)[3].

ملاحظات حول هذا القول:

إن هناك ملاحظات ترد على ما تقدم من روايات منها:

---

(١) المصاحف، ج١، ص ١٧١، ح ٣٣، و ج١، ص ٢٢٤، ح٩٨.

(٢) أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير السجستاني (٢٠٢ ـ ٢٧٥ هـ) صاحب كتاب السنن المشهور بـ(سنن أبي داود) أصله من سجستان أو سيستان وبلوشستان في إيران.

(٣) المصاحف، ج١، ص ١٧٠.

١ـ إن عمر بن الخطاب[١] وأبا بكر أرادا الدعوة إلى الاكتفاء بالقرآن وعملهما هذا جاءا به للتغطية على استخلاف النبي الأكرم ﷺ للإمام علي بن أبي طالب عليه السلام من بعده.

فتبنوا فكرة جمع القرآن للتغطية على هذا الأمر، وللتعمية على عيون الناس بإشاعة حسنة اعتبروها فوق كل الحسنات وان أدت إلى الطعن في شخص الرسول ﷺ.

٢ـ قول عمر بن الخطاب للنبي الأكرم ﷺ: (إن أهل الكتاب يحدثونا بأحاديث قد أخذت بقلوبنا، وقد هممنا أن نكتبها.

فقال ﷺ: يا بن الخطاب أمتهوكون أنتم كما تهوكت اليهود والنصارى؟! أما والذي نفس محمد بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقية...)[٢].

و عن عبد الله بن ثابت، قال: (جاء عمر بن الخطاب فقال: يا رسول الله إني مررت بأخ لي من يهود، فكتب لي جوامع من التوراة، قال: أفلا أعرضها عليك؟ فتغير وجه رسول الله ﷺ، فقال عبد الله: مسخ الله عقلك ألا ترى ما بوجه رسول الله؟! فقال عمر: رضيت بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد رسولاً)[٣].

---

(١) عمر بن الخطاب العدوي (٤٠ ق. هـ ـ ٢٣ هـ).

(٢) مسند أحمد، ج٣، ص ٣٨٧، ح ١٥١٩٥، و مجمع الزوائد، ج١، ص ١٧٤، و ج٨، ص٢٦٢.

(٣) المصنف لعبد الرزاق، ج٦، ص ١١٣، ح ١٠١٦٤، و ج١٠، ص ٣١٣، ح ١٩٢١٣، و مجمع الزوائد، ج١، ص ١٧٤.

٣ـ إن قول عمر بن الخطاب المشهورة (حسبنا كتاب الله)، ونهي أبي بكر من التحديث عن رسول الله ﷺ ورفع شعار الاكتفاء بالقرآن دون السنة وقوله: (بيننا وبينكم كتاب الله فاستحلوا حلاله وحرموا حرامه)، كل ذلك ما هو الا تعريضٌ بشخص النبي محمد ﷺ، وعدم احترام لسنته الشريفة. رغم الأمر الإلهي الصريح بطاعة النبي ﷺ ووجوب الأخذ منه بلا أي مناقشة تُذكر، بل ان المناقشة والتردد والاعتراض ستكون موارد للكفر الصريح، وبالتالي الخروج من ربقة الإسلام.

ان المدافعين عن عثمان بن عفان ـ كونه هو من قام بجمع (المصحف الإمام) ـ كانت غايتهم دفع ما أثير عليه من اعتراضات، ومن ذلك أنهم نسبوا (هذا العمل) إلى عمر بن الخطاب ليثبتوا ـ حسب مدعاهم ـ أن توحيد القرآن ليس بدعة من عثمان بل كان الأمر من عهد عمر بن الخطاب، وان عثمان إنما نفذ مشروع عمر لا أكثر!؟

و ظل الحال هكذا حتى ماتت الاعتراضات وسكت المعترضون، فأصبح عثمان بن عفان بطل مشروع (جمع القرآن) في مصحف إمام!!!

هل جمعَ عثمان بن عفان القرآن؟

عن ابن أبي داود وابن الأنباري، عن أبي قلابة، قال: (لما كان في خلافة عثمان جعل المعلمُ يعلمُ قراءة الرجل، والمعلم يعلم قراءة الرجل، فجعل الغلمان يتلقون فيختلفون حتى ارتفع ذلك إلى المعلمين، حتى كَفَرَ بعضهم بقراءة بعض، فبلغ ذلك عثمان، فقام خطيباً، فقال: أنتم عندي تختلفون وتلحنون، فمن نأى عني من الامصار أشد اختلافاً وأشد لحناً، فاجتمعوا يا أصحاب محمد فاكتبوا للناس إماماً.

فقال أبو قلابة: فحدثني مالك بن أنس، قال أبو بكر بن داود: هذا مالك بن أنس جد مالك بن أنسٍ، قال: كنت فيمن أُملي عليهم فربما اختلفوا في الآية، فيذكرون الرجل قد تلقاها من رسول الله ﷺ ولعله أن يكون غائباً أو في بعض البوادي، فيكتبون ما قبلها وما بعدها ويَدعون موضعها حتى يجيء أو يرسل إليه، فلما فرغ من المصحف، كتب إلى أهل الأمصار: إني قد صنعت كذا وصنعت كذا، ومحوت ما عندي فامحوا ما عندكم)[1].

---

(١) المصاحف، ج١، ص ٢٠٣ ـ ٢٠٤، ح ٧٤ و ٧٥، و كنز العمال، ج٢، ص ٢٤٦، ح٤٧٧٦.

ملاحظات حول هذا القول:

إن من الملاحظات حول ما تقدم من القول والتي منها:

١ـ إن عثمان بن عفان وبحسب ادعاء الذهبي وغيره كان من كُتاب الوحي، فلم لا يكتب (المصحف) بنفسه؟ وأين ذهب مصحفه؟ بل لم نسمع تاريخياً عن نسخة عثمان الأولى التي تلاقاها عن النبي ﷺ؟!

٢ـ ورد تاريخياً أن عثمان بن عفان أمر بتحريق المصاحف العامة، ومروان بن الحكم حرق الصحف التي كتبها أبو بكر والتي كانت عند حفصة[١]، وهذا ما قرره العسقلاني في فتح الباري[٢]، وابن كثير في فضائل القرآن[٣].

٣ـ دعوا عثمان بأن في القرآن (لحناً) مع عدم تحديد مظانه؛ هو إعطاء مجال للتعريض بالقرآن والتشكيك به، وتغيير مفرداته.

فمن أين جاء عثمان بن عفان بهذه الدعوى؟ وما الدليل عليها؟ وكيف نقلها الناقلون بلا ادنى تحكيم للعقول؟

يقول الأستاذ خليل عبد الكريم[٤]: (لم يجد الأمويون محمدة يضيفونها إلى جانب عثمان سوى أنه جمع القرآن ودوّنه في مصحف وحّد المسلمين

(١) أنظر المصاحف للسجستاني، تحقيق محب الدين عبد السبحان واعظ، ج١، ص ١٩٧.

(٢) فتح الباري، ج ٩، ص ٢١.

(٣) فضائل القرآن، ص ٦٨، و ص ٧٧.

(٤) خليل عبد الكريم (١٩٣٠ ـ ٢٠٠٢ م) كاتب مصري.

عليه، ثم تولى جهاز دعاية الأسرة الأموية تضخيم هذا العمل ونشره على أوسع نطاق. لم يقف الأمر عند ذلك بل أخذوا ينسبون المصحف الإمام إليه فقالوا: مصحف عثمان أو المصحف العثماني والخط العثماني والرسم العثماني وللأسف ابتلع المسلمون الطيبون المخمومو القلوب هذا الطعم وخاصة « أهل السنة والجماعة « وما زالوا...)[١].

(١) إلا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، خليل عبد الكريم، ص ٧٢.

المستشرقون الذين تطرقوا لموضوع (جمع القرآن)

هنا ومن باب الفائدة نذكر جملة من المستشرقين الذين تطرقوا لموضوع جمع القرآن الكريم، وذلك لإفادة الباحثين في هذا الموضوع المهم جداً، وقد ذكرنا جملة منهم وليس كل من تناول هذا الموضوع، إذ أن (ما لا يدرك كله لا يترك جله).

١ـ المستشرق الألماني (غوستاف ويل)[١] في كتابه (*Histoisch Kritisch Einheitung*) (مدخل تأريخي نقدي إلى القرآن) المطبوع سنة (١٨٤٤ م)، إذ قد بدأ بمحاولة (تأريخ القرآن) سنة (١٨٤٤ م)، ولم يتخذ صورته النهائية إلا سنة (١٨٧٢ م) والتي لم يقم فيها وزناً للروايات والأسانيد الحديثية الإسلامية، والتي حظيت بتأييد (بلاشير) و(نولدكه).

٢ـ المستشرق الألماني (تيودور نولدكه)[٢] في كتابه (تاريخ القرآن) والذي اتمه بعده تلميذه (فردريش شيفالي)[٣].

---

(١) غوستاف ويل او فيل (١٨٠٨ ـ ١٨٨٩ م).

(٢) تيودور نولدكه (١٨٣٦ ـ ١٩٣٠ م).

(٣) فردريش شيفالي (١٨٦٣ ـ ١٩١٩ م).

٣ـ المستشرق المجري (اجانتس جولدتسيهر)[١] في كتابه (مذاهب التفسير الإسلامي)[٢].

٤ـ المستشرق الفرنسي (ريجس بلاشير)[٣] في كتابه (القرآن)[٤].

٥ـ المستشرق الفرنسي (جان برتن) في كتابه (جمع القرآن) المطبوع عام (١٩٧٧ م).

٦ـ المستشرق (الفونس منجانا)[٥]، والذي نشر كتاب باسم: (ترجمة سريانية قديمة للقرآن تعرض آيات جديدة واختلافات).

٧ـ المستشرق الفرنسي (باول كازانوفا)[٦].

٨ـ المستشرق الألماني (كارل بروكلمان)[٧] الذي تطرق لموضوع تاريخ

---

(١) جولدتسيهر (١٨٥٠ ـ ١٩٢١ م).

(٢) مذاهب التفسير الإسلامي، ص ٤.

(٣) بلاشير (١٩٠٠ ـ ١٩٧٣ م).

(٤) والذي خصص فيه لتاريخ القرآن أربعة فصول من مجموعة سبعة، وهي على التوالي كالتالي:

ـ المصحف بنيته و تكوينه.

ـ الرسالة القرآنية في مكة.

ـ رسالة القرآن في المدينة.

ـ الواقعة القرآنية و علوم القرآن.

(٥) الفونس منجانا (١٨٨١ ـ ١٩٣٧ م).

(٦) باول كازانوفا (١٨٦١ ـ ١٩٢٦ م).

(٧) كارل بروكلمان (١٨٦٨ ـ ١٩٥٦ م).

القرآن في كتابه (تاريخ الأدب العربي)[١]، في الفصل الثاني من الباب الثاني، حيث درس الوحي والبيان القرآني ومن ثمة جمل القرآن المؤثرة وانتهى إلى تشبيه القرآن بسجع الكهان.

٩ـ المستشرق (أ. ت. ويلتش)[٢].

١٠ـ المستشرق (غوستاف لوبون)[٣].

١١ـ المستشرق الفرنسي (هنري ماسيه)[٤].

١٢ـ المستشرق (آجنس سميث) والذي نشر بالتعاون مع (ألفونس منجانا) سنة ١٩١٤ كتاباً بعنوان (أوراق من ثلاثة مصاحف قديمة يمكن أن تكون سابقة للمصحف العثماني، كع قائمة بما فيها من اختلافات).

١٣ـ المستشرق الفرنسي (جاك بيرك)[٥].

١٤ـ المستشرق الانكليزي (آرثر جيفري)[٦].

---

(١) تاريخ الأدب العربي، كارل بروكلمان، ترجمة: عبد الحليم النجار، طبعة دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٨، ج١، ص ١٣٧.

(٢) دائرة المعارف الإسلامية، ص ٤٠٤.

(٣) حضارة الإسلام، ص ١٢٠ ـ ١٢١.

(٤) هنري ماسيه (١٨٨٦ ـ ١٩٦٩ م).

(٥) جاك بيرك (١٩١٠ ـ ١٩٩٥ م).

(٦) آرثر جيفري (١٨٩٢ ـ ١٩٥٩ م).

١٥ـ المستشرق الانكليزي (جيمس دوغلاس بيرسون)[١].

١٦ـ المستشرق البولوني (بيبرشتاين كازيمرسكي)[٢].

١٧ـ المستشرق الفرنسي (سيمون جارغاي).

١٨ـ المستشرق الألماني (برجشتراسر)[٣] في كتابه (تاريخ القرآن).

١٩ـ المستشرق الألماني (بريتزل) في كتابه (تاريخ علم قراءة القرآن).

٢٠ـ المستشرق الألماني (كاله)[٤] في بحثه (القرآن والعربية)، وهو بحث نشر في صحيفة دراسات الشرق الأدنى عام (١٩٤٩ م).

٢١ـ المستشرق الاسكتلندي (ويليام موير)[٥]، والذي قسم المراحل القرآنية إلى ست: خمس في مكة، وسادستها في المدينة[٦].

٢٢ـ المستشرق الألماني (هوبرت جريم) في كتابه (محمد)[٧].

---

(١) جيمس دوغلاس بيرسون (١٩١١ ـ ١٩٩٧ م).

(٢) بيبرشتاين كازيمرسكي (١٧٨٠ ـ ١٨٦٥ م).

(٣) برجشتراسر (١٨٨٦ ـ ١٩٣٢ م).

(٤) بول ايرنست كاله (١٨٧٥ ـ ١٩٦٤ م).

(٥) ويليم موير (١٨١٩ ـ ١٩٠٥ م).

(٦) مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية، طبعة المنظمة العربية للتربية و الثقافة و العلوم، تونس، ١٩٨٥، ج١، ص ١٧٦.

(٧) القرآن و المستشرقون، التهامي نقرة، ص ٢٧.

القسم الثاني

الحروف المقطعة
في القرآن الكريم وتفسيرها

استعراض لجملة من التفاسير المشهورة

كما تعدد الفهم، والطرح في مسائل كثيرة تخص التراث الإسلامي داخلياً، وخارجياً، فقد تعدد ذلك أيضاً في موضوعات كثيرة في القرآن الكريم، ومن تلك الموضوعات (الحروف المقطعة)، أو (فواتح السور) القرآنية.

فكان التعدد في الطرح، أو الاختلاف في التفسير لهذه الحروف داخلياً، وكانت كل جهة تفسرها بحسب مبانيها، وميولها، ومصالحها، فمنهم من اجتهد ليفسرها بأفكار وغايات معينة، ومنهم من أراد ملائمتها لحالة معينة أو مذهب معين، ومنهم من أراد لها أن تطابق بعض الروايات الموجودة، ومنهم من أعترف بالعجز أمامها واعتبرها من أشكل المشكلات فقال عنها إنها (من أعوص المسائل التي يصادفها الباحث في القرآن من الناحية العلمية والتاريخية)[1].

ثم جاء الدور على جملةٍ[2] من المستشرقين، وكتاب الغرب، ورجال

---

(١) تاريخ القرآن، عبد الله الزنجاني، ص ٩٤.

(٢) نحن لا نعمم الأحكام، لكن وبحق أن الأكثرية توجد غايات مبيته عندهم، إلا أن هناك نفس علمي عند البعض وإن كانوا قلة قليلة.

دين يهود، ومسيح على حدٍ سواء ليدلوا بآرائهم، ويتناولون هذه القضية بما يتلائم وغاياتهم من جانب، ويخالف الكثير من الأسس الإسلامية من جانب آخر، هدفهم من وراء ذلك الطعن بالقرآن الكريم، وبنبوة النبي محمد ﷺ، متحججين، ومتمسكين بدعوى تأثر القرآن الكريم بـ(اليهودية)، و(النصرانية) دليلهم على ذلك حجج واهية، أو روايات ضعيفة، أو ادعاءات واختراعات خلقتها عقولهم المؤدلجة والمريضة.

الحروف المقطعة الماهية والتفسير

لا بد لنا وفي بادئ الأمر أن نتعرف على ماهية، وحقيقة، هذه الحروف بما يعطينا صورة واضحة عنها.

لذا وعن تعريفها اصطلاحاً نقول: يستفاد من مجموع كلام العلماء في تعريفاتها بأنها: من حروف الهجاء، التي أفتتح الله سبحانه وتعالى بها بعض السور القرآنية، تتكون من حرف، أو أكثر، يُنطق كل حرف بمفرده[1].

وقد سميت هذه الحروف بـ (الحروف المقطعة)؛ لأنها وإن جاءت ككلمات إلا أن هذه الكلمات تُقرأ مقطعة الحروف لا بشكل كامل، فتقرأ قراءة تهجي حرف بعد حرف، وليس بشكل كلمة واحدة، ولو أنها قرأت بشكل كلمة كاملة لم تعط أي معنى، بل لكانت كلمة غريبة اللفظ، ومجهولة المعنى.

والمراد بالتقطيع هو أن كل حرف ينطق بمفرده؛ لأن الحروف لها أسماء خاصة بها، وإن الناس حين ينطقون حرفاً ما فإنهم ينطقونه باسمه لا بلفظه

---

(١) البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ج ١، ص ١٦٧.

فيقولون عن حرف (ع) حين النطق به (عين)، وعن حرف (ح) يقولون (حاء)، وكذلك الحال بالنسبة للحروف الباقية على حدٍ سواء.

كما وانها سميت بفواتح القرآن، وفواتح السور؛ إذ أن فاتحة كل شيء مبدؤه الذي يفتح به ما بعده.

يقال افتتح فلان كذا أي ابتدأه، وفتح عليه كذا: أعلمه ووقفه عليه.

قال تعالى: ﴿أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ (سورة البقرة، الآية ٧٦).

وذكر الدكتور زكي مبارك[١] عدداً من الصفات التي تفرد بها القرآن الكريم عن الآثار النثرية، فكان منها: الابتداء بهذه الحروف إذ يقول: (أن هذا النمط من الابتداء لم نجده في النصوص الأدبية الجاهلية ولا الإسلامية)[٢].

وقد جاءت (فواتح السور) أو (الحروف المقطعة) في (٢٩) سورة من مجموع سور القرآن البالغة (١١٤) سورة.

إن السور التي احتوت على الحروف المقطعة هي: سورة (البقرة، وآل عمران، والأعراف، ويونس، وهود، ويوسف، والرعد، وإبراهيم، والحجر،

---

(١) زكي عبد السلام مبارك (١٨٩٢ ـ ١٩٥٢ م) أديب و شاعر و صحفي و أكاديمي عربي مصري.

(٢) النثر الفني في القرن الرابع، الدكتور زكي مبارك، ج١، ص ٦٤.

ومريم، وطه، والشعراء، والنمل، والقصص، والعنكبوت، والروم، ولقمان، والسجدة، يس، ص، غافر، وفصلت، والشورى، والزخرف، والدخان، والجاثية، والأحقاف، ق، والقلم).

أما مجموع الحروف المتهجاة في أوائل السور المذكورة فهي (٧٨) حرفاً، وجملتها من غير تكرار (١٤) حرفاً، يجمعها قولك: (نص حكيم قاطع له سر)[١].

لم ترد هذه الحروف على وتيرة واحدة، بل اختلفت أعداد حروفها، فوردت على حرف، وحرفين، وثلاثة، وأربعة، وخمسة.

ومن المعلوم بعد ما تقدم أن الحروف المقطعة قد شغلت بال المفسرين، وحازت على اهتمامهم بها، وكذلك قد شغلت العلماء قديماً، وحديثاً، فكان من جراء ذلك أن كثرت الأقوال فيها، وكتبت فيها الأبحاث، وتعددت فيها الآراء والاجتهادات، وقف عندها البعض بشرح، وتفصيل، ومر عليها البعض مرور الكرام، وأكتفى البعض بأن تبعها بقوله: (الله أعلم بمراده بذلك)[٢].

---

(١) البرهان، الزركشي، ج ١، ص ١٦٧.

(٢) تفسير الجلالين، جلال الدين السيوطي ج ١، ص ٢، وجلال الدين المحلي ج ٢، ص ٩٠.

الحروف المقطعة في تفسير مجمع البيان للشيخ الطبرسي

مع توضيح للآراء المطروحة

لقد اختلف المفسرون من القدماء، والمتأخرين في تفسير الحروف المقطعة، وقد نقل الشيخ الطبرسي رحمه الله[1] في تفسيره مجمع البيان أحد عشر قولاً في المراد منها[2]، وناقش هذه الآراء العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي رحمه الله[3] في تفسير الميزان[4].

فقال الشيخ الطبرسي رحمه الله في المقام: «اختلف العلماء في الحروف المعجمة المفتتحة بها السور.

---

(١) أمين الإسلام أبو علي الفضل بن الحسن بن الفضل الطبرسي، الطوسي، السبزواري، الرضوي، المشهدي (ت ٥٤٨هـ).

(٢) مجمع البيان، الطبرسي، المجلد ١، ص ١١٢، تفسير سورة البقرة (البداية).

(٣) العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي: (١٣٢١ ـ ١٤٠٢ هـ).

(٤) تفسير الميزان، المجلد ١٧ ـ ١٨، ص ١٧٦، تفسير سورة الشورى.

أحدها: ذهب بعضهم إلى أنها من المتشابهات التي أستأثر الله تعالى بعلمها[١] ولا يعلم تأويلها إلا هو، هذا هو المروي عن أئمتنا عليهم السلام.

وروت العامة عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «لكل كتاب صفوة، وصفوة هذا الكتاب حروف التهجي»[٢].

وعن الشعبي[٣] قال: «لله في كل كتاب سر، وسره في القرآن سائر حروف الهجاء المذكورة في أوائل السور»[٤].

و نقلاً عن ابن مسعود[٥]: «أن هذه الحروف علم مستور وسر محجوب استأثر الله به»[٦].

---

(١) وممن قال بهذا الرأي: الشعبي، وسفيان الثوري، ومن المفسرين: أبو حيان، والآلوسي، وزكريا الأنصاري في فتح الرحمن.

(٢) الأثر في تفسير البغوي، ج ١، ص ٤٤، و مفاتيح الغيب، ج ٢، ص ٤، و تفسير الخازن، ج ١، ص ٢٢، و التسهيل لعلوم التنزيل، ج ١، ص ٥٣.

(٣) عامر بن شراحيل الهمداني (ت ١٠٠ هـ) و قيل (ت ١٠٤ هـ).

(٤) مجمع البيان، مجلد ١، ص ١١٢.

(٥) أبو عبد الرحمن: عبد الله بن مسعود بن الحارث بن غافل بن جندب الهذلي، كان حليف بني زهرة بمكة، أمه أم عبد بنت عبد ود بن سوأة بن قديم بن صاهلة الهذلية، قيل أنه سادس رجل من المسلمين، هاجر الهجرتين و صلى القبلتين، و أول من جهر بقراءة القرآن بمكة، توفي سنة (٣٢ هـ).

(٦) تفسير المنار، ج٨، ص ٣٠٢.

ونقول عن القول الأول:

لقد ذكر أبو الليث السمرقندي[١] في تفسيره[٢] أنه روي عن عمر، وعثمان، وابن مسعود أنهم قالوا: (الحروف المقطعة من المكتوم الذي لا يفسر)[٣].

ونقل القرطبي[٤] في تفسيره[٥] قولًا لعامر الشعبي، والثوري، وجماعة من المحدثين بأنها من المتشابه الذي أنفرد الله بعلمه، واختار هذا القول أبو حيان الأندلسي[٦].

وأورد الرازي رأي الشعبي، وذكر رواية عن أبن عباس بأنه قال: (عجزت العلماء عن إدراكها)[٧].

---

(١) نصر بن محمد بن أحمد أبو الليث السمرقندي (ت ٣٧٣ هـ).

(٢) تفسير السمرقندي، ج١، ص ٤٧، و المسمى: (تفسير القرآن الكريم)، أو المسمى خطأً (بحر العلوم) حسب ما صرح به محمد حسين الذهبي في كتابه (التفسير و المفسرون، ج١، ص ٢٢٤) و (تفسير بحر العلوم) لسمرقندي آخر من اعلام القرن التاسع هو علاء الدين علي السمرقندي، يراجع لذلك: كشف الظنون، ج١، ص ٢٢٥، و الأعلام، الزركلي، ج٨، ص ٢٨.

(٣) تفسير ابن مسعود، جمع: محمد أحمد عيسوي (رسالة ماجستير)، ص ١٨، و الحروف المقطعة في القرآن الكريم، عبد الجبار شرارة، ص ٥.

(٤) القرطبي، أبو عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري (ت٦٧١هـ).

(٥) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج ١، ص ١٥٤.

(٦) الحروف المقطعة في القرآن الكريم، عبد الجبار شرارة، ص ٥.

(٧) مفاتيح الغيب، الرازي، ج ٢، ص ٣.

وقال الشيخ الطوسي﵀[١]: (المروي في أخبارنا أنها من المتشابه)[٢].

أما (الشوكاني)[٣] فقد غلظ القول على من قال فيها برأيه إذ قال: «والذي أراه لنفسي، ولكل من أحب السلامة واقتدى بسلف الأمة، أن لا يتكلم بشيء من ذلك»[٤].

وسُئل الشعبي عن هذه الحروف، فقال: «سر الله فلا تطلبوه»[٥].

---

(١) أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي بن الحسن الطوسي نسبة إلى مسقط رأسه (طوس) من نواحي خراسان، ولد في شهر رمضان من سنة (٣٨٥ هـ) بطوس، و هاجر إلى بغداد بع أن أخذ حظه الوافر من دراسة العلوم الإسلامية سنة (٤٠٨ هـ) فحضر مجلس ودرس الشيخ المفيد﵀، و بعد وفاة الشيخ المفيد في شهر رمضان من سنة (٤١٣ هـ) حضر مجلس و درس علم الهدى السيد المرتضى أبي القاسم علي بن الحسين الموسوي، و على أثر وفاة السيد المرتضى في شهر ربيع الأول من سنة (٤٣٦ هـ) أستقل الشيخ الطوسي بزعامة الطائفة في بغداد عدة سنوات، حتى إذا اشتعلت نار الفتنة الطائفية من قبل السلاجقة هاجر إلى النجف الأشرف حمى أمير المؤمنين عليه السلام وذلك في سنة (٤٤٨هـ) فأسس حوزته العلمية الجامعة إلى أن وافاه الأجل في شهر محرم من سنة (٤٦٠ هـ) عن (٧٥) عاماً، و دفن في النجف في داره المعروفة التي اتخذت مسجداً من بعده حسب وصيته لولده المفيد الثاني.

(٢) تفسير التبيان، الشيخ الطوسي، ج ١، ص ٤٨.

(٣) محمد بن علي بن عبد الله الشوكاني المتوفى سنة (١٢٥٠ هـ).

(٤) فتح القدير، الشوكاني، ج ١، ص ٤٨ ـ ٤٩.

(٥) مفاتيح الغيب، ج ٢، ص ٤.

أما الصاوي[١] فذهب إلى أن هذا القول أرجح الأقوال[٢].

وقال أبو حاتم بن حبان[٣]: «لم نجد الحروف المقطعة في القرآن إلا في أوائل السور، ولا ندري ما أراد الله بها»[٤].

وذهب الشيخ محمود شلتوت[٥] إلى أن ليس في القرآن مما أستأثر الله بعلمه سوى فواتح السور[٦].

وقال عنها الشيخ محمد عبده[٧]: «نفوض الأمر فيها إلى المسمى سبحانه... وليس من الدين في شيء أن يتنطع متنطع فيخترع ما يشاء من

---

(١) أحمد بن محمد الصاوي المالكي (ت ١٢٤١ هـ).

(٢) حاشية الصاوي على تفسير الجلالين، ج ١، ص ٦.

(٣) أبو حاتم محمد أبن حبان بن أحمد البستي التميمي، القاضي، شيخ خراسان، ولد ببست سنة (٢٧٠ هـ) و المتوفى سنة (ت ٣٥٤ هـ).

(٤) حكاه عنه أبو جعفر النحاس المتوفى سنة (٣٣٨ هـ) في كتابه: معاني القرآن الكريم، ج ١، ص ٧٨.

(٥) الشيخ محمود شلتوت (١٨٩٣ ـ ١٩٦٣ م) علم إسلامي مصري، و شيخ الأزهر سنة (١٩٥٨ م).

(٦) تفسير القرآن الكريم، محمود شلتوت، ص ٦٥.

(٧) الشيخ محمد عبده بن حسن خير الله: (١٨٤٩ ـ ١٩٠٥ ميلادي) عالم دين و سياسي مصري، مفتي الديار المصرية، من كبار رجال الاصلاح و التجديد في الإسلام، شارك في الجهاد ضد الإنكليز حتى سجن ثم نفي إلى بلاد الشام، له بحوث و مقالات و مجلات معروفة، تولى الإفتاء في الديار المصرية سنة (١٣١٧ هـ) توفي في الإسكندرية، و دفن في القاهرة.

العلل، التي قلما يسلم مخترعها من الزلل»[١].

وكذلك هو رأي الشيخ محمد أبو زهرة[٢] في تفسيره[٣]، والشيخ محمد متولي الشعراوي[٤] في خواطره[٥].

إلا اننا نجد اتجاهاً ناقداً لهذا القول، قائم على نظرية (تاريخية النص القرآني)[٦] وبأدوات (هرمينوطيقية)[٧]. ومن دعاة هذا التيار أمثال (محمد شحرور) و(أدونيس) و(محمد أركون) و(الطيب تيزيني) و(علي حرب) و(صادق جلال العظم) و(عبد الكريم سروش) و(نصر حامد أبو زيد) وهذا الأخير الذي أعتبر تفسيرات الحروف المقطعة عند الشيعة (تعميقاً للاتجاهات الغنوصية في تفسير النص وتأويله)[٨]، وقال عنها بأنها (ظواهر غموض تبرز اختلاف النص داخلياً)[٩].

---

(١) تفسير المنار، محمد رشيد رضا، ج ١، ص ١٠٦.

(٢) محمد أحمد مصطفى المعروف بأبي زهرة (١٨٩٨ ـ ١٩٧٤ م) عالم ازهري مصري.

(٣) زهرة التفاسير، ص ١٠٩٨.

(٤) محمد متولي الشعراوي (١٩١١ ـ ١٩٩٨ م) عالم ازهري مصري.

(٥) خواطر حول القرآن الكريم، ج ١، ص ١٠٦ ـ ١٠٩.

(٦) التاريخانية القائلة ببشرية النص القرآني.

(٧) أي الاتجاه التأويلي القائم على نسبية المعرفة.

(٨) مفهوم النص، نصر حامد أبو زيد، ص ١٩١.

(٩) م. ن، ص ١٩٤.

ثم يسترسل الشيخ الطبرسي ﷺ في باقي الأقوال، فيقول: «وفسرها الآخرون على وجوه:

ثانيها: «إنها أسماء السور ومفاتيحها عن الحسن[١]، وزيد بن أسلم[٢]»[٣].

وعن القول الثاني للشيخ الطبرسي ﷺ نعقب قائلين:

لقد ذهب البعض إلى أن فاتحة كل سورة أسم للسورة التي افتتحت بها، وذلك أن الأسماء وضعت للتمييز، فكذا هذه الحروف وضعت لتمييز هذه السور عن غيرها، وذهب إلى هذا القول كثير من المفسرين، ورجحوه على ما سواه من الأقوال، كما ذهب إليه بعض المستشرقين.

فقد ذكر ذلك الطبري[٤]، والرازي[٥]، والزركشي[٦]، والسيوطي[٧]، والزمخشري[٨]، واختاره سيبويه[٩] في كتابه[١٠].

---

(١) الحسن: هو أبو سعيد الحسن بن يسار البصري (ت ١١٠ هـ).

(٢) زيد بن أسلم (ت ١٣٦ هـ)، يعد من أئمة الفقه والحديث كما جاء ذلك في ترجمته في كتاب تهذيب الكمال ج ١٠، ص ١٥، وسير أعلام النبلاء: ج ٥، ص٣١٦.

(٣) مجمع البيان، الطبرسي، مجلد ١، ص ١١٢.

(٤) جامع البيان، ج ١، ص ٨٧.

(٥) مفاتيح الغيب، ج ٢، ص ٥.

(٦) البرهان في علوم القرآن، ج ١، ص ١٧٤.

(٧) الدر المنثور، ج ١، ص ٦٤.

(٨) الكشاف، ج ١، ص ٨٣.

(٩) أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي إمام النحاة، وأول من بسط علم النحو (١٤٨ـ١٨٠هـ).

(١٠) الكتاب، ج ٢، ص ٣٤ ـ ٣٥.

واستحسن هذا الرأي القاضي عبدالجبار المعتزلي[١]، وقال عنه الزمخشري: (عليه إطباق الأكثر)[٢].

وثالثها: «أن المراد بها الدلالة على أسماء الله تعالى، فقوله تعالى (الم) معناه أنا الله أعلم، و(المر) معناه أنا الله أعلم وأرى، و(المص) معناه أنا الله أعلم وأفضل، والكاف في (كهيعص) من كافٍ، والهاء من هادٍ، والياء من حكيم، والعين من عليم، والصاد من صادق عن ابن عباس»[٣].

ورابعها: «أنها أسماء الله تعالى منقطعة، لو أحسن الناس تأليفها لعلموا أسم الله الأعظم... عن سعيد بن جبير»[٤].

وعن القول الرابع نقول:

إنّ ممن ينسب إليه هذا القول: ابن عباس[٥]، وابن مسعود[٦]، وسالم بن عبدالله بن عمر بن الخطاب[٧]، والشعبي[٨].

---

(١) متشابه القرآن، ج١، ص ١٦.

(٢) الكشاف، ج ١، ص ٣٢.

(٣) مجمع البيان، مجلد ١، ص ١١٢.

(٤) م. ن، مجلد ١، ص ١١٢.

(٥) عزاه إليه القرطبي في الجامع لأحكام القرآن ج١، ص ١٥٥، والطبري في جامع البيان ج ١، ص ٦٧.

(٦) عزاه إليه النسفي في تفسيره ج ١، ص ٣٩.

(٧) عزاه إليه أبن كثير في تفسيره ج ١، ص ٣٦.

(٨) عزاه إليه الطبري في تفسيره ج ١، ص ٦٧.

فقد ذهب جمع من المفسرين[١] إلى أن الحروف المقطعة المفرقة في سور القرآن الكريم يتألف منها اسم الله الأعظم.

وذهب آخرون[٢] إلى أن الحروف المقطعة منها الاسم الأعظم إلا أنه لا يقدر على تأليفه منا إلا النبي ﷺ والإمام، وخواص هذا الاسم أنه إذا دعا به النبي ﷺ استجاب الله تعالى دعاءه، وأعطاه طلبته.

وخامسها: «أنها أسماء القرآن عن قتادة»[٣].

وعن القول الخامس نقول:

لقد ذهب جماعة من المفسرين إلى أن هذه الحروف أسماء للقرآن، فكما أن الفرقان اسم للقرآن، والذكر اسم للقرآن، فكذا هذه الحروف. ذكر الطبري[٤] ذلك ونسب القول إلى قتادة[٥]، ومجاهد[٦]، وابن جريج[٧]، ونقل

---

(١) الدر المنثور، السيوطي، ج ١، ص ٢٢، و فتح القدير، ج ١، ص ٢١.

(٢) تفسير التبيان، الشيخ الطوسي، ج ١، ص ٤٧، و مجمع البيان، الطبرسي، ج ١، ص ٣٣، وتفسير القمي، ص ٥٩٥.

(٣) مجمع البيان.

(٤) جامع البيان، ج ١، ص ٨٦.

(٥) قتادة بن دعامة (ت ١١٨ هـ).

(٦) مجاهد بن جبر (ت ١٠٤ هـ).

(٧) أبو الوليد عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج الأموي الإنتساب الرومي الأصل (ت ١٥٠ هـ)

الشيخ الطوسي[١] ﷺ القول نفسه ونسبه إلى المذكورين.

وذكره الرازي[٢] وقال: هو قول الكلبي[٣]، والسدي[٤]، وقتادة.

وسادسها: «أنها أقسام أقسم الله تعالى بها، وهي من أسمائه عن أبن عباس، وعكرمة»[٥].

والمعنى المراد من هذا القول هو: إن الله تعالى أقسم بهذه الحروف لإظهار شرفها وفضلها، وممن قال بهذا الرأي كما ذكر بعض المفسرين: ابن عباس[٦]، وعكرمة[٧]، والأخفش[٨]، والزركشي[٩].

وسابعها: «أن كل حرف منها مفتاح اسم من أسماء الله تعالى، وليس فيها حرف إلا وهو في آلائه، وبلائه، وليس فيها حرف إلا وهو مدة قوم، وآجال

---

(١) التبيان، ج ١، ص ٤٧.

(٢) التفسير الكبير، ج ٢، ص ٦.

(٣) أبو المنذر، هشام بن محمد بن السائب الكلبي (ت ٢٠٤ هـ).

(٤) إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمة السدي القرشي الكوفي الأعور (١٢٩ هـ).

(٥) مجمع البيان، مجلد ١، ص ١١٢ ـ ١١٣.

(٦) عزاه إليه النسفي في تفسيره ج١، ص ٣٩.

(٧) عزاه إليه السيوطي في الدر المنثور ج١، ص ٥٤.

(٨) أبو الحسن سعيد بن مسعدة المجاشعي الأخفش الأوسط، ذكر هذا القول في معاني القرآن ج١، ص ٢٠.

(٩) في كتابه البرهان ج١، ص ١٧٣.

آخرين عن أبي العالية، وقد ورد أيضاً مثل ذلك في أخبارنا»[١].

و ثامنها: «إنّ المراد بها مدة بقاء هذه الأمة عن مقاتل بن سليمان»[٢]. فقد ذهب البعض إلى أنها تدل على مدة بقاء أقوام، وقيل بقاء هذه الأمة، وذلك بحسب (حساب أبي جاد)[٣].

ونهى العلماء عن هذا الحساب وعدوه نوعاً من أنواع السحر[٤]. وأورد هذا الرأي الطبري في تفسيره[٥].

وتاسعها: «أن المراد بها حروف المعجم أستغني بذكرها ما ذكر منها في أوائل السور عن ذكر بواقيها التي هي تمام الثمانية والعشرين حرفاً»[٦].

وعاشرها: «أنها تسكيت للكفار لأن المشركين كانوا تواصوا فيما بينهم أن لا يستمعوا لهذا القرآن، وأن يلغوا فيه كما ورد به التنزيل»[٧].

وعن القول العاشر نقول:

لقد أورد بعض المفسرين بأن الحروف المقطعة إنما أفتتحت بها السور

---

(١) مجمع البيان، مجلد ١، ص ١١٣.

(٢) م. ن، مجلد ١، ص ١١٣.

(٣) الحروف المقطعة، عبد الجبار شرارة، ص ٥٥.

(٤) الإتقان، ج ٢، ص ١٦.

(٥) جامع البيان، الطبري، ج ١، ص ٩٣.

(٦) مجمع البيان، مجلد ١، ص ١١٣.

(٧) م. ن، مجلد ١، ص ١١٣.

القرآنية، والآيات للتنبيه، وإلفات نظر المشركين ليستمعوا لهذا القرآن لإنهم تواصوا على أن يعرضوا عنه، وأن لا يستمعوا له، وأن يلغوا فيه.

وهذا القول اختاره ابن روق[١]، وقطرب[٢] على ما ذكره السمرقندي[٣]، وكذلك الرازي[٤]، والقرطبي[٥]، والطبري[٦]، وكذلك قال به محمد عبد العظيم الزرقاني في كتابه (مناهل العرفان)[٧].

وأورد ذلك الشيخ الطوسي[٨] ﷺ في التبيان، وابن كثير[٩] في تفسيره.

والقول الحادي عشر هو: «إنّ المراد بها أن هذا القرآن الذي عجزتم عن معارضته من جنس هذه الحروف التي تتحاورون بها في خطبكم، وكلامكم فإذا لم تقدروا عليه فاعلموا أنه من عند الله لأن العادة لم تجر بأن الناس يتفاوتون في القدر هذا التفاوت العظيم، وإنما كررت في مواضع

---

(١) هو محمد بن الحسن بن عبد الله بن روق الراسبي الروقي المحدث (ت ١٦٨ هـ).

(٢) هو محمد بن المستنير من علماء اللغة المشهورين، المعروف بقطرب، كان في النحو على مذهب أهل البصرة (ت ٢٠٦ هـ).

(٣) الحروف المقطعة، عبد الجبار شرارة، ص ٢٥.

(٤) مفاتيح الغيب، ج ٢، ص ٦.

(٥) الجامع لأحكام القرآن، ج١، ص ١٥٥.

(٦) جامع البيان، ج ١، ص ٨٩.

(٧) ج ١، ص ٢٣٠.

(٨) التبيان، ج ١، ص ٤٨.

(٩) تفسير القرآن العظيم، ج ١، ص ٦٩.

استظهار في الحجة، وهو المحكي عن قطرب، واختاره أبو مسلم محمد بن بحر الأصفهاني»[١].

وممن قال بهذا الرأي: الباقلاني[٢] في إعجاز القرآن[٣]، والزمخشري[٤] في الكشاف[٥]، والرازي[٦] في تفسيره الكبير[٧]، وابن كثير في تفسيره[٨].

وكذلك ذهب إليه السيد إسماعيل الصدر[٩] في كتابه (المحاضرات)[١٠]، وسيد قطب[١١] في تفسيره[١٢]، وأطالت الكلام في بيانه وتوجيهه عائشة عبد

---

(١) مجمع البيان، الشيخ الطبرسي، مجلد١، ص ١١٢.

(٢) أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني القاضي (ت٤٠٢هـ).

(٣) إعجاز القرآن، ج ١، ص ٦٨ ـ ٦٩.

(٤) جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي المعتزلي (ت ٥٣٨ هـ) أستاذ فن البلاغة، صاحب المصنفات المعروفة، و الزمخشري نسبة إلى زمخشر كسفرجل قرية بنواحي خوارزم.

(٥) ج ١، ص ٩٥ ـ ٩٧.

(٦) محمد الرازي فخر الدين بن ضياء الدين عمر المشتهر بخطيب الري و الفخر الرازي (ت٦٠٦ هـ).

(٧) تفسير الرازي، ج٢، ص ٨.

(٨) ج ١، ص ٣٧ ـ ٣٨.

(٩) السيد إسماعيل الصدر (١٣٤٠ ـ ١٣٨٨ هـ).

(١٠) محاضرات في تفسير القرآن، ص ١٠١.

(١١) سيد قطب إبراهيم حسين الشاذلي (١٩٠٦ ـ ١٩٦٦ م).

(١٢) تفسير في ظلال القرآن، ج١، ص ٣٨.

الرحمن[١] المعروفة ببنت الشاطئ[٢].

وقد أورد بعض المفسرين هذا الرأي وبأن الحروف المقطعة وردت إشارة إلى إعجاز القرآن الكريم، فقد افتتح القرآن الكريم بعض سوره بهذه الحروف المقطعة للتدليل على أنه مؤلف من جنس الحروف التي يؤلف منها العرب كلامهم، فإذا عجزوا عن مساجلته والاتيان بمثله فذلك دليل على إعجازه، وأنه ليس من كلام البشر بل هو كلام الله تعالى خالق البشر وسيدهم.

(١) عائشة محمد علي عبد الرحمن (١٩١٣ ـ ١٩٩٨ م) و المعروفة بـ (بنت الشاطئ).

(٢) الأعجاز البياني، ص ١٢٦.

رأي السيد الطباطبائي في الحروف المقطعة

مناقشة وتحليل

هنا لا بد من التعرض لرأي العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي ﵀ صاحب تفسير الميزان في هذا المقام، فهو ﵀ وعند تعرضه لتفسير سورة الشورى يقول: «(حم عسق) من الحروف المقطعة في أوائل عدة من السور القرآنية، وذلك من مختصات القرآن الكريم، لا يوجد في غيره من الكتب السماوية. وقد أختلف المفسرون من القدماء والمتأخرين في تفسيرها، وقد نقل عنهم الطبرسي في مجمع البيان أحد عشر قولاً في معناها»[1].

ثم يسترسل ﵀ في ذكرها كلها مع إجمال، واختصار، وبعد أن تعرض العلامة الطباطبائي ﵀ لهذه الأقوال، قال: «والحق أن شيئاً من هذه الأقوال لا تطمئن إليه النفس»[2].

---

(١) تفسير الميزان، سورة الشورى، ص ١٧٦.

(٢) م. ن، سورة الشورى، ص ١٧٧.

ثم يبدأ السيد الطباطبائي ﵀ برد هذه الأقوال[١]، فيقول: «أما القول الأول فقد تقدم في بحث المحكم والمتشابه في أوائل الجزء الثالث من الكتاب، أنه أحد الأقوال في معنى المتشابه، وعرفت أن الإحكام والتشابه من صفات الآيات التي لها دلالة لفظية على مداليلها، وأن التأويل ليس من قبيل المداليل اللفظية بل التأويلات حقائق واقعية تنبعث من مضامين البيانات القرآنية أعم من محكماتها ومتشابهاتها، وعلى هذا فلا هذه الحروف المقطعة متشابهات، ولا معانيها المراد بها تأويلات لها. أما الأقوال العشرة الأُخر فإنما هي تصويرات لا تتعدى حد الاحتمال، ولا دليل يدل على شيء منها. نعم في بعض الروايات المنسوبة إلى النبي ﷺ، وأئمة أهل البيت ﵈ بعض التأييد للقول الرابع، والسابع، والثامن، والعاشر... والذي لا ينبغي أن يغفل عنه أن هذه الحروف تكررت في سور شتى، وهي تسع وعشرون سورة، أُفتتح بعضها بحرف واحد وهي: ص، وق، ون، وبعضها بحرفين وهي: سورة طه، وطس، ويس، وحم. وبعضها بثلاثة أحرف كما في سورتي (الم) و(الر) و(طسم)، وبعضها بأربعة أحرف كما في سورتي (المص) و(المر)، وبعضها بخمسة أحرف كما في سورتي (كهيعص) و(حمعسق).

وتختلف هذه الحروف أيضاً من حيث أن بعضها لم يقع إلا في موضع واحد مثل (ن)، وبعضها واقع في مفتتح عدة من السور مثل (الم) و(الر) و(طس) و(حم).

---

(١) أي كونها من المتشابهات.

ثم إنك إن تدبرت بعض التدبر في هذه السور التي تشترك في الحروف المفتتح بها مثل الميمات والراءات، والطواسين، والحواميم، وجدت في السور المشتركة في الحروف من تشابه المضامين، وتناسب السياقات ما ليس بينها وبين غيرها من السور. ويؤكد ذلك ما في مفتتح أغلبها من تقارب الألفاظ كما في مفتتح الحواميم من قوله: ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ﴾، أو ما هو في معناه، وما في مفتتح الراءات من قوله: ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ أو ما هو في معناه، ونظير ذلك واقع في مفتتح الطواسين، وما في مفتتح الميمات من نفي الريب عن الكتاب، أو ما هو في معناه. ويمكن أن يحدس من ذلك أن بين الحروف المقطعة وبين مضامين السور المفتتحة بها ارتباطاً خاصاً، ويؤيد ذلك ما نجده أن سورة الأعراف المصدرة بـ (ا ل م ص) في مضمونها كأنها جامعة بين مضامين الميمات و(ص)، وكذا سورة الرعد المصدرة بـ(ا ل م ر) في مضمونها كأنها جامعة بين مضامين الميمات والراءات»[١].

ثم يذكر ﷺ رأيه في الحروف المقطعة فيقول: «ويستفاد من ذلك أن هذه الحروف رموز بين الله سبحانه وبين رسوله ﷺ خفية عنا، لا سبيل لأفهامنا العادية إليها إلا بمقدار أن نستشعر أن بينها، وبين المضامين المودعة في السور أرتباطاً خاصاً»[٢].

(١) تفسير الميزان، سورة الشورى.

(٢) تفسير الميزان، سورة الشورى.

وبهذا الصدد يرد السيد جعفر مرتضى العاملي[١] على هذا الرأي بقوله: «ونحن لا نستطيع الموافقة على ما ذكره (رحمه الله تعالى)، فإن القرآن ليس كتاب ألغاز، أو أحاجي، وإنما أنزله الله تعالى: ﴿هُدًى لِّلنَّاسِ﴾[٢]، ﴿لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ﴾[٣]، ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾[٤]...، وقد لاحظ بعض المحققين: أن تعقيب هذه الأحرف بأن هذا الكتاب مبين، وواضح، وأنه قرآن عربي لقوم يعلمون، أو لعلكم تعقلون، لا يناسب كون تلك الألفاظ رموزاً، أو من قبيل الألغاز، والأحاجي»[٥].

ثم يقول العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي ﷺ مؤيداً لرأيه بكونها رموز: «ولعل المتدبر لو تدبر في مشتركات هذه الحروف وقايس مضامين السور التي وقعت فيها بعضها إلى بعض تبين له الأمر أزيد من ذلك. ولعل هذا معنى ما روته أهل السنة عن علي عليه السلام على ما في المجمع: أن لكل كتاب صفوة، وصفوة هذا الكتاب حروف التهجي»[٦].

---

(١) جعفر بن مصطفى بن مرتضى الحسيني العاملي المولود بمدينة صور عام (١٩٤ م) رجل دين عالم و مؤلف معاصر.

(٢) سورة البقرة، الآية ١٨٥.

(٣) سورة ص، الآية ٢٩.

(٤) سورة الشعراء، الآية ١٩٥.

(٥) الصحيح من سيرة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله، بحث حول الحروف المقطعة، السيد جعفر مرتضى العاملي، ص ٣٢٦ ـ ٣٣٧.

(٦) تفسير الميزان، سورة الشورى.

وهنا يقول السيد جعفر مـرتضى العاملي: «إننا لم نجد في التاريخ ما يشير إلى أن أياً من الصحابة، أو غيرهم من المشركين، أو من أعداء الإسلام قد تصدى للسؤال، أو الاستفهام عن معاني هذه الأحرف، وعمّا ترمي إليه، ولو سلمنا جدلاً أن سكوت الصحابة يمكن أن يكون ناشئاً عن إيمانهم العميق، وعن وصولهم إلى درجة التسليم، والخضوع لكل ما يأتي به النبي ﷺ نتيجة لما رأوه من الآيات الباهرة، والمعجزات القاهرة ـ رغم أن ذلك لا ينطبق على كثيرين، ورغم عدم منافاة ذلك للسؤال الاستفهامي عن أمر كهذا ـ فإننا لا نستطيع أن نفسر سكوت المشركين، وغيرهم من أعداء الإسلام عن أمر كهذا، وهم في موقع التحدي والمجابهة، ويحاولون التشبث ولو بالطحلب للطعن في الإسلام، والنبوة، والقرآن. فسكوتهم هذا ـ والحالة هذه ـ لا يعني إلا أنهم قد فهموا منها معنى قريباً إلى أذهانهم، وإن ذلك المعنى الذي فهموه كان يكفي للإجابة عما يمكن أن يراود أذهانهم من تساؤلات»[١].

ويقول أيضاً: «إن ورود هذه الحروف في خصوص السور المكية، وفي ثلاث سور نزلت في أجواء لا تختلف كثيراً عن أجواء مكة ليدل دلالة قاطعة على أنها إنما جاءت في مقام التحدي للمشركين، ولأعداء الإسلام»[٢].

---

(١) الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ، السيد جعفر مرتضى العاملي، ص ٣٢٦ ـ ٣٣٧.

(٢) م. ن، ص ٣٢٦ ـ ٣٣٧.

أقوال أُخر في تفسير الحروف المقطعة

١ ـ أنها دالة على إثبات نبوة النبي محمد ﷺ وبيان صدق رسالته:

فقد ذهب بعض العلماء إلى أن المقصود من هذه الحروف بيان صدق نبوة النبي محمد ﷺ من ناحية أنه ينطق بأسماء الحروف مع أنه (أمي)[١] لم يقرأ، ولم يكتب، فمن المعروف أن النطق بأسماء الحروف هو من شأن القارئ وحده، ولا سبيل للأمي إلى معرفتها، ولا النطق بها، فإتيانه بها، وترديده لها دليل حي على أنه ﷺ لم يأتِ بهذا القرآن من تلقاء نفسه، إنما يتلقاه من لدن حكيم عليم.

والقائلون بهذا الرأي هم: الزمخشري في الكشاف[٢]، والنسفي[٣] في تفسيره[٤]، والبيضاوي[٥] في تفسيره[٦].

---

(١) و سيأتي البحث حول هذا المعنى.

(٢) الكشاف، ج ١، ص ٩٩ ـ ١٠٠.

(٣) ابو البركات، عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي (ت ٧١٠ هـ).

(٤) مدارك التنزيل و حقائق التأويل، ج ١، ص ٤٠.

(٥) عبد الله بن عمر البيضاوي الشافعي (ت ٧١٩ هـ).

(٦) أنوار التنزيل و أسرار التأويل، ج ١، ص ٨٦.

٢ ـ أنها جاءت للدلالة على انقطاع كلام واستئناف كلام آخر:

ومعنى ذلك أنه افتتح بها ليعلم أن السورة التي قبلها قد انقضت وأنه قد أخذ في أخرى، فجعل هذا علامة انقطاع ما بينهما. والقائلون بذلك: مجاهد[١]، إذ نقل ذلك الطبري[٢] في تفسيره[٣]، وكذلك أبو عبيدة[٤] في مجاز القرآن[٥]، والأخفش[٦] في معاني القرآن[٧] والعز بن عبد السلام[٨] في كتاب الفوائد[٩]، والرازي في التفسير الكبير[١٠]، وابن كثير[١١] في تفسيره[١٢]، والسيوطي[١٣] في

---

(١) وهو مجاهد بن جبير أبو الحجاج المكي مولى بن مخزوم تابعي من أهل مكة ولد (سنة ٢١ هـ)، وتوفي سنة (١٠٤ هـ) أخذ التفسير عن أبن عباس.

(٢) أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠ هـ).

(٣) جامع البيان ج ١، ص ٦٧.

(٤) أبو عبيدة معمر بن مثنى التيمي (ت ٢٠٩ هـ).

(٥) مجاز القرآن، ج ١، ص ٢٨.

(٦) الأخفش، أبو الحسن المجاشعي البلخي (ت٢١٥هـ).

(٧) معاني القرآن، الأخفش، ج ١، ص ٢١.

(٨) عزالدين عبدالعزيز بن عبدالسلام (ت٦٦٠هـ).

(٩) الفوائد في مشكل القرآن، ص ٢٢.

(١٠) التفسير الكبير، ج ٢، ص ٧.

(١١) عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري الدمشقي الفقيه الشافعي، توفي في دمشق سنة (٧٧٤ هـ).

(١٢) تفسير القرآن العظيم، ج ١، ص ٦٧.

(١٣) أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن ناصر الدين محمد السيوطي الشافعي (ت ٩١١ هـ) بالقاهرة، و السيوطي نسبة إلى سيوط أو أسيوط قرية في صعيد مصر.

الإتقان[١]، والزرقاني من المتأخرين في كتابه مناهل العرفان[٢].

٣ ـ أنها دلالات على معانٍ متعددة:

فقد ذهب بعض العلماء إلى أن هذه الحروف المقطعة أخذت من أسماء وأفعال، وكل حرف يدل على معنى غير معنى الحرف الآخر، فبعضها يدل على أسماء الله سبحانه وتعالى، وبعضها يدل على أسماء غير الله، أو بمعنى آخر حروف دالة على أسماء أخذت منها وحذفت بقيتها. ويعزى القول بذلك إلى: ابن عباس[٣]، وابن مسعود[٤]، وسعيد بن جبير[٥] -[٦]، وكذلك الزَجاج[٧].

وذكر هذا الرأي الطبري[٨] فقال: «والصواب عندي في تأويل مفاتح السور التي هي حروف المعجم أن الله جل ثناؤه جعلها حروفاً مقطعة ولم يصل بعضها ببعض فيجعلها كسائر الكلام المتصل الحروف لأنه عز ذكره أراد بلفظه

---

(١) الإتقان، ج ٢، ص ١٢.

(٢) مناهل العرفان، ج ١، ص ٢٢٢.

(٣) عزاه إليه الزرقاني في مناهل العرفان، ج ١، ص ٢٣٣.

(٤) عزاه إليه الرازي في تفسيره، ج ٢، ص ٧.

(٥) عزاه إليه ابن كثير في تفسيره، ج ١، ص ٣٦.

(٦) سعيد بن جبير الأسدي أبو عبد الله، تابعي، أستشهد على يد الحجاج الثقفي سنة (٩٥هـ)، قال أحمد بن حنبل قتل الحجاج سعيداً، وما على وجه الأرض أحد إلا وهو مفتقر إلى علمه (الأعلام، الزركلي، ج ٣، ص ٩٣).

(٧) معاني القرآن، الزجاج، ج ١، ص ٦٢.

(٨) جامع البيان، ج ١، ص ٨٨.

الدلالة بكل حرف منه على معانٍ كثيرة لا على معنى واحد».

وممن ذكروا هذا الرأي الشوكاني[١]، والسيوطي[٢]، والسيد الطباطبائي[٣].

٤ـ أنها تعليم للحروف المقطعة:

فقد ذهب البعض إلى أن هذه الحروف تعليم للحروف المقطعة حتى إذا وردت عليهم بعد ذلك مؤلفة كانوا قد علموها كما يتعلم الصبيان الحروف المقطعة أول تعلمهم، ثم يتعلمونها مركبة بعد أن فهموا ووعوا.

وممن ذهب الى هذا عبد العزيز بن يحيى[٤] فقال: (إن الله تعالى إنما ذكرها وفي التقدير كأنه تعالى قال: اسمعوها مقطعة حتى إذا وردت عليكم مؤلفة كنتم قد عرفتموها قبل ذلك، كما أن الصبيان يتعلمون هذه الحروف أولاً مفردة ثم يتعلمون المركبات)[٥].

٥ـ إنها وردت للإشارة إلى غلبة مجيء هذه الحروف في كلمات السورة:

فقد ذهب البعض إلى أن سبب إيراد هذه الحروف المقطعة في أوائل

---

(١) فتح القدير، ج ١، ص ٢١.

(٢) الإتقان، ج ٢، ص ٩.

(٣) تفسير الميزان، سورة الشورى.

(٤) عبد العزيز بن يحيى بن عبد العزيز الكناني المكي، من تلامذة الشافعي، قدم بغداد أيام المأمون، له تصانيف عديدة، توفي سنة (٢٤٠ هـ).

(٥) التفسير الكبير، الرازي، ج ٢، ص ٨.

بعض السور هو للإشارة إلى غلبة مجيئها في كلمات السورة التي جاءت هذه الحروف في مطلعها، وعدّوا ذلك دليلاً على الإعجاز.

ذكر ذلك الزركشي[١]، وأورد هذا الرأي السيد الطباطبائي إذ يقول: «إنه يمكن أن يحدس أن بين الحروف المقطعة وبين مضامين السور المفتتحة بها ارتباطاً خاصاً، ويؤيده ما نجد أن سورة الأعراف المصدرة بـ (المص) في مضمونها كأنها جامعة بين مضامين الميمات والراءات»[٢].

٦ـ إنها رموز وأسرار بين الله تعالى ورسوله ﷺ:

فقد روى السيد رضي الدين بن طاووس[٣] عن (حقائق التفسير) لأبي عبد الرحمن محمد بن الحسين السلمي[٤]، عن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام قال: (ألم، رمز وإشارة بينه تعالى وبين حبيبه محمد ﷺ أراد أن لا يطلع عليه سواها، أخرجه بحروف بَعَّدهُ عن درك الأغيار، وظهر السر بينهما لا غير)[٥].

---

(١) البرهان في علوم القرآن، ج ١، ص ١٦٩.

(٢) تفسير الميزان، سورة الشورى.

(٣) رضي الدين ابو القاسم علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن أحمد بن محمد بن محمد الطاووس العلوي الحسني (٥٨٩ ـ ٦٦٤ هـ).

(٤) ابو عبد الرحمن، محمد بن الحسين بن محمد بن موسى الأزدي النيسابوري (٣٢٥ ـ ٤١٢هـ).

(٥) سعد السعود، ص ٢١٧، و البحار، ج ٨٩، ص ٣٨٤.

وقال الشيخ الصدوق رحمه الله[١]: «والعلة الأخرى في إنزال أوائل هذه السور بالحروف المقطعة ليخص بمعرفتها أهل العصمة والطهارة، فيقيمون بها الدلائل، ويظهرون بها المعاجز، ولو عم الله تعالى بمعرفتها جميع الناس لكان في ذلك ضد الحكمة، وفساد التدبير»[٢].

ويقول العلامة الشيخ محمد جواد البلاغي رحمه الله[٣]: «ولا غرو أن يكون في القرآن ما هو محاورة رمزية بأسرار خاصة مع الرسول صلى الله عليه وآله، وأمناء الوحي عليهم السلام»[٤].

وذهب إلى هذا الرأي الشيخ محمد هادي معرفة[٥] رحمه الله إذ يقول: «والرأي المختار هو القول بأنها إشارات رمزية إلى أسرار بين الله ورسوله، لم يهتد إليها سوى المأمونون على وحيه، ولو كان يمكن الاطلاع عليها لغيرهم لم تعد حاجة إلى الرمز بها من أول الأمر»[٦].

---

(١) أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي، ولد في قم من بلاد إيران سنة (٣٠٦ هـ) و نشأ و ترعرع بها، توفي رحمه الله في الري من بلاد إيران سنة (٣٨١هـ) و دفن في ضواحيها قرب قبر الشاه عبد العظيم الحسني، من مؤلفاته: (من لا يحضره الفقيه، المقنع، الهداية، الأمالي، التوحيد، الخصال، علل الشرائع، معاني الأخبار...).

(٢) كمال الدين وتمام النعمة، ص ٦٤٠.

(٣) محمد جواد بن حسن بن طالب البلاغي النجفي (١٢٨٢ ـ ١٣٥٢ هـ).

(٤) آلاء الرحمن، ج ١، ص ٦٤.

(٥) الشيخ محمد هادي علي معرفة الكربلائي القمي (١٣٤٨ ـ ١٤٢٧ هـ).

(٦) التفسير الأثري الجامع، محمد هادي معرفة، ج ١، ص ١٩٢، و ويراجع التمهيد في علوم القرآن للشيخ محمد هادي معرفة، المجلد الخامس.

نعم، من المرجح ان تكون ـ هذه الحروف ـ من ضمن الأسرار التي سوف يأتي بها الإمام المهدي المنتظر عجل الله فرجه الشريف، والتي سيكتمل بها الدين الإسلامي، يوم تصل البشرية إلى ذروة التطور والتقدم والازدهار على يديه المباركتين.

ففي حديث الإمام الصادق عليه السلام: «العلم سبعة وعشرون حرفاً. فجميع ما جاءت به الرسل حرفان، فلم يعرف الناس حتّى اليوم غير الحرفين. فإذا قام قائمنا أخرج الخمسة والعشرين حرفاً فبثّها في الناس، وضمَّ إليها الحرفين. حتّى يبثّها سبعة وعشرين حرفاً»[١].

و عن أبي جعفر عليه السلام انه قال: «إذا قام قائمنا وضع يده على رؤوس العباد فجمع بها عقولهم، وكملت به أحلامهم»[٢].

٧ـ إنها جاءت لإثبات قضايا علمية:

فقد ذهب الشيخ طنطاوي جوهري[٣] إلى: «إن القرآن إنما ابتدأ بهذه الحروف ليلفت النظر إلى مسالك العلوم المختلفة، ويدلنا على طرائق الوصول

---

(١) البحار، ج ٥٢، ص ٣٣٦، باب ٢٧، ح ٧٣.

(٢) الكافي، ج١، ص ٢٥، ح ٢١.

(٣) الشيخ طنطاوي جوهري (١٢٨٧ ـ ١٣٥٨ هـ) (١٨٧٠ ـ ١٩٤٠ميلادي) العالم والفيلسوف صاحب كتاب (الجواهر في تفسير القرآن الكريم) من العلماء الموسوعيين، ولد في قرية (كفر عوض الله حجازي) التابعة لمحافظة الشرقية بمصر، وتعلم في الأزهر مدة ثم في المدارس الحكومية، تعلم الإنكليزية له (الجواهر في تفسير القرآن في ٢٦ جزء، جواهر العلوم، النظام والإسلام، التاج المرصع).

إلى الحقائق في ميادين المعرفة والعلم... إن الحروف المقطعة رمز إلى ضرورة التحليل في سائر الأمور، والعلوم اللغوية، وغير اللغوية»[١].

وتبعت هذه التفاسير محاولة أخرى للكشف عن هذه الرموز عن طريق الاستفادة من التطور الإلكتروني واستخدام الآلات الحديثة، ومن أمثلتها ما قام به العالم الكيمياوي المصري الدكتور (رشاد خليفة)[٢] والتي نشرتها مجلة (آخر ساعة)[٣]، تحدث فيها عن الإعجاز العددي للقرآن، وما يتعلق بالعدد (١٩)، وقضية الحروف النورانية والقرآن الكريم.

٨ ـ أنها ذات أصول هيروغليفية:

وهي الدعوى التي نادى بها (سعد عبد المطلب العدل)[٤] في كتابه (الهيروغليفية تفسير القرآن الكريم) والذي ألفه ليأتي برأي جديد في تفسير (الحروف المقطعة) مدعياً أن الحروف المقطعة ما هي إلا حروف ذات أصول هيروغليفية[٥].

---

(١) الجواهر، ج ٢، ص ١١.

(٢) رشاد خليفة (١٩٣٥ ـ ١٩٩٠ م) عالم كيميائي مصري، يقال بأنه أدعى النبوة، وجد مقتولاً في مسجده في مدينة توسان بولاية أريزونا الأمريكية.

(٣) مجلة آخر الساعة، العدد ١٩٩٦، ٢٤ يناير ١٩٧٣ م، ص ١١١.

(٤) وهذا الرجل له من الأقوال الجريئة و المفتقدة لكل أسس علمية أو عقلية أو نقلية الشيء الكثير، فهو يأتي بنظريات ما أنزل الله بها من سلطان كقوله ان الفرعون اخناتون هو نبي الله إبراهيم الخليل، و ان توت عنخ آمون هو نبي الله لوط، و دواليك.

(٥) الهيروغليفية: إن الإشارة إلى لغة مصر القديمة باسم (اللغة الهيروغليفية) هو خطأ شائع، لأن الهيروغليفية هي نظام كتابة، و ليست لغة.

٩ ـ أنها رموز تشفيرية:

فقد جاءت الدعوى بكون الحروف المقطعة (شفرات) يراد منها معانٍ مستبطنة. كما نقل عن المدعو (كوزونيس برتولي جيفارانسا) في مقال له حمل عنوان: (التحليق بين الخطاب القرآني وموسوعة الخطاب الإنساني) الذي زعم فيه أن الحروف المقطعة (شفرات نصية) مجهول معناها[١]، أيده في ذلك المدعى، بل وكتب بحثاً عنها؛ (الدكتور حسن عبد الهادي الدجيلي) والذي نشر في مجلة (المصباح)[٢] التي تصدر عن العتبة الحسينية المقدسة. وقد أورد الباحث ما يعتبره أدلة على ذلك. وما قوله إلا رأي يضاف إلى الآراء التي أرادت تفسير الحروف المقطعة في القرآن الكريم، ويدخل في مجال علمي بعيد كل البعد عن روح القرآن الكريم الحقيقية.

---

(١) يراجع لذلك: مجلة المصباح، العدد (١٨) ص ٢٧٣ و ما بعدها.

(٢) مجلة المصباح للدراسات و الأبحاث القرآنية، تصدر عن العتبة الحسينية المقدسة، العدد (١٨)، بحث: التشفير بالحروف المقطعة في الخطاب القرآني، الدكتور حسن عبد الهادي الدجيلي، ص ٢٧٣.

المستشرقون والحروف المقطعة

يذهب بعض المستشرقين إلى مذاهب شتى بشأن الحروف المقطعة كلٌ بحسب هدفه، أو غايته، أو مدعاه، أو ما وصل إليه بحسب الأدلة المادية التي تتبعها، ومن هذه الآراء الرأي القائل بأن الحروف المقطعة رموز، وكل حرف يدل على معنى، الهدف من وراء ذلك إثبات أن محمداً ﷺ ليس بنبي، وأن (القرآن) ليس بكتابٍ سماوي.

وهناك من ذهب إلى أن الحروف المقطعة رموز لأسماء بعض الصحابة، وهي إضافات متأخرة للنص القرآني، وليست جزءاً من السور القرآنية التي وردت فيها، مضافاً إلى آراء، وأقوال كثيرة وردت بهذا الشأن[1]، وسنحاول في السطور القادمة توضيح جملة من هذه الآراء المطروحة بما يتلائم ومحاور البحث.

---

(١) ومن أشهر الآراء في ذلك ما ورد عن: (نولدكه، و شيفالي، ولوت، و بوير، و هيرشفيلد، ودي بور، و بلاشير، وهنري ماسيه، وبول ديك، و جوسنز، وغيرهم).

فمثلاً نجد أن المستشرق الألماني (نولدكه)[١] يقول: «إن الحروف المقطعة هي الحروف الأولى أو الأخيرة مأخوذة من أسماء بعض الصحابة الذين كانت عندهم نسخ من سور قرآنية معينة، فالسين من سعد بن أبي وقاص، والميم من المغيرة بن شعبة، والنون من عثمان بن عفان، والهاء من أبي هريرة، وهكذا»[٢].

ثم عدل عن رأيه هذا ليتبنى رأياً آخر مفاده: «أن محمداً أراد بهذه الحروف أن يشير بصورة سرية إلى الأصل السماوي للقرآن. فلا بد من أن حروفاً كهذه كانت ذات وقع مهم في أذن رجل لم يتعرف إلى الكتابة إلا بقدر يسير جداً، فبدت له عجباً عجاباً، وأختلف وقعها لديه عن وقعها في آذاننا»[٣].

أما المستشرق (هـ. هرشفيلد) فيصر على أنّ هذه الاختصارات هي أسماء لصحابة النبي[٤].

أما المستشرق (بول ديك) فيقول: إنها رموز لمجموعات الصحف التي كانت عند المسلمين قبل أن يوجد المصحف العثماني.

---

(١) تيودور نولدكه: (١٨٣٦ ـ ١٩٣٠ م) مستشرق الماني.

(٢) تاريخ القرآن، تيودور نولدكه، ص ٣٠٣، و مباحث في علوم القرآن، صبحي الصالح، ص ٢٣٩، و موسوعة المستشرقين، عبد الرحمن بدوي، ص ٤١٧.

(٣) تاريخ القرآن، نولدكه، ص ٣٠٦.

(٤) م. ن، ص ٣٠٨.

أما المستشرقان (دي بور)[١] و(جوسنز)[٢] فزعما أنها اختصارات للأسماء القديمة لسور القرآن[٣].

كما وزعم المستشرق (جوسنز): «أن هذه السور التي تحمل رموزاً كانت ذات يوم منفصلة عن باقي السور الأخرى في يد أحد جماع القرآن جمعها في مجموعة صغيرة، وقد فرق ذلك الجامع بوضوح بين الأسماء التي كانت مستعملة حينذاك للسور، وبين نص السور، بأن أختصر هذه الأسماء التي كانت مستعملة حينذاك للسور، وبين نص السور، بأن اختصر هذه الأسماء إلى مثل (ن، ق، ص) لأنها كانت بالنسبة له أمراً ثانوياً، ولا تخدم غرضه الأصلي، وهو جمع النصوص، ثم جاء الشخص الذي جمع القرآن الجمع الأخير بصورته الحالية، فلم يفهم أن هذه اختصارات لأسماء السور، فأضافها إلى النص نفسه بعد البسملة، وأخترع للسور أسماء أخرى»[٤].

وكذلك كتب عنها المستشرق (هانز بور) في مجلة ZDMG 26 دراسة

---

(١) مستشرق هولندي (١٨٦٦ ـ ١٩٤٢ م).

(٢) وقد خصها بدراسة تقدم بها للحصول على درجة الدكتوراه، وذلك في خريف سنة (١٩٢٠ م) ثم نشرها بعد ذلك في مجلة (الإسلام) التي تصدر في المانيا تحت عنوان (أصل الرموز القرآنية ومعناها).

(٣) الحروف المقطعة في القرآن الكريم، عبد الجبار شرارة، ص ٣٥، و مباحث في علوم القرآن، صبحي الصالح، ص ٢٤٠.

(٤) الحروف المقطعة في القرآن الكريم، عبد الجبار شرارة، ص ٣٧.

تحت عنوان (ترتيب السور والرموز الغامضة في القرآن)[١].

أما المستشرق (لوث)[٢] فيذهب إلى أن النبي محمد ﷺ مدين بفكرة فواتح السور لتأثير أجنبي رجح ـ هو ـ أنه تأثير يهودي[٣]، وأن الحروف المقطعة قد أخذت من (الكبالا)[٤] أي التصوف اليهودي[٥].

وقال بعض المستشرقين: إن هذه الحروف هي إيعاز للعرب الذين كانوا يؤمنون بالسحر وبالكهان الذين كانوا يستعملون الألغاز في طلاسمهم.

وإلى ذلك وغيره يشير المستشرق الألماني (نولدكه) فيما يخص آراء المستشرقين بالقرآن الكريم، وإجتهادات الطرح حوله بقوله: «فالعلماء المسيحيون في الغرب، طوروا بواسطة الصدفة، أو الاستعارة، كثيراً من الآراء التي هي نفسها آراء التراث الإسلامي، أو تشبهها، وحتى حين سلكوا دروباً خاصة بهم لم يتوصلوا دائماً إلى تفسير أفضل من التفسير الإسلامي»[٦].

---

(١) مجلة التوحيد، العدد ٨١، ذو الحجة ١٤١٦ هـ ص ٣٤.

(٢) لوث، أو لوت.

(٣) الاستشراق والخلفية الفكرية، ص ٨٤.

(٤) الكبالا، أو القبالا: كلمة عبرية معناها: مذهب في تفسير الكتاب المقدس عندهم، يقوم على افتراض أن لكل كلمة، و لكل حرف فيه لع معنى خفي، و نشأ هذا المذهب في القرن السابع و استمر حتى الثامن عشر الميلادي. مصدر هذا المذهب هو كتاب الخلق أو الزهاو عند اليهود، و أفكار أفلاطون الميتافيزيقية، و بعض تعاليم المسيحية.

(٥) القرآن الكريم من المنظور الاستشراقي، ص ٢٢٨.

(٦) تاريخ القرآن، ص ٣٠٠.

ويقول المستشرق الفرنسي (هنري ماسيه)[١]: «هناك تسع وعشرون سورة تنتهي كلها تقريباً إلى العصر الذي سبق الهجرة مباشرة، وتبدأ بحروف مفردة لا تزال تحير مفسري القرآن من المسلمين وغيرهم. فالعلماء المسلمون بعد أن بحثوا لها عن إيجازات وجدوا فيها لغزاً لا يعرفه إلا الله وحده. وعاد بعض المستشرقين إلى فكرة الإيجازات هذه، وأراد آخرون فيها الحروف الأولى لأسماء المالكين الأول للنسخ التي كتبها زيد»[٢].

(١) هنري ماسيه (١٨٨٦ ـ ١٩٦٩) مستشرق فرنسي.

(٢) آراء المستشرقين الفرنسيين في القرآن الكريم، أحمد نصري، ص ١٥٠.

ادعاءات سهيل قاشا حول الحروف المقطعة

مناقشة وتحليل

طَالعَنا وفي كتاب جديد القس المسيحي سهيل قاشا[1] تحت عنوان (القرآن بحث ودراسة) نشرته له (دار العارف) أدلى فيه بدلوه ـ بحسب تعبيره ـ في مجال القرآن الكريم حاله كحال من سبقه، غايته من وراء ذلك إثبات شيء ألا وهو: (إثارة التساؤلات حول القرآن الكريم) وبالتالي إثارة التشكيكات حوله، وحول الدين الإسلامي، وحول نبوة النبي محمد ﷺ، وليس في طرحه هذا أية قضية علمية، وليست لديه أية أمانة علمية لما عرف عن سهيل قاشا من انتحاله لموضوعات متعددة، ونسبتها لنفسه.

---

(١) سهيل قاشا قس مسيحي من عائلة مسيحية عملت في سلك اللاهوت، ولد في باخديدا، محافظة الموصل ـ العراق عام (١٩٤٢ م)، له العديد من الكتابات والمؤلفات بلغت (٨٥) مؤلفا ـ تقريباً ـ أو أكثر، تنوعت في المسيحية والفكر القديم، والتراث الإسلامي، وغير ذلك.

ذلك ـ وعلى سبيل المثال ـ وفق ما أثاره عليه (رشيد الخيون)[١]، و(عبده وازن)[٢] في أكثر من مكان، وأكثر من موقع إلكتروني. وظهر هذا في تصريح هذين الكاتبين بذلك، وما خفي كان أعظم.

وفي هذا المقام، وفي بحث الحروف المقطعة سنتعرض لرأيه الخاص بالمسألة[٣]، وسنتطرق إلى كلماته في المقام، وذلك لمعرفة مراده، ودوافعه

---

(١) وذلك بسبب انتحال سهيل قاشا لمقدمة كتاب (معتزلة البصرة وبغداد) كاملة المأخوذة من كتاب رشيد الخيون المنشور (١٩٩٧ م)، بينما نشر سهيل قاشا كتابه عام (٢٠١٠ م) وقد أطلعت جريدة الشرق الأوسط على الكتابين ووجدت بأن سهيل قاشا قد نشر مقدمة كتاب الخيون كاملة من دون تغيير لا بحرف ولا بفارزة، ونشرت ذلك الجريدة في العدد (١١٦٩٥) الأحد ٢٨ ذو الحجة ١٤٣١ هـ / ٥ ديسمبر ٢٠١٠ م.

(٢) فقد تلقى الصحفي عبده وازن من دار نعمان للثقافة كتاباً للأب سهيل قاشا بعنوان: (أنا والكتابة) الذي فاز بجائزة الدار لعام ٢٠١١ م. فوجئ وازن وفق صحيفة (الحياة) اللندنية أثناء تصفحه للكتاب بأن صاحبه أورد حرفياً مقاطع كثيرة من كتابه (حديقة الحواس) الصادر عام ١٩٩٣ م عن دار الجديد، الذي منعه جهاز الرقابة في الأمن العام اللبناني. وضمن قاشا كتابه هذا الفصل من كتاب وازن ليصبح أطول فصول الكتاب، مع عدم الإشارة إلى كتاب (حديقة الحواس) ولا إلى اسم صاحبه، فبدت هذه المقاطع الطويلة وكأنها من تأليفه فيما هي من تأليف وازن، ولم يتورع عن إدراج مقطع بكامله كان نشره وازن على الغلاف الأخير من كتابه وهو يدور حول مفهوم الكتابة وعلاقتها بالجسد. أبلغ (وازن) الكاتب والدار الناشرة بأنه سيلجأ إلى القضاء لاستعادة حقوقه ككاتب وكصاحب للنص الأصلي، مطالباً الدار بسحب كتاب سهيل قاشا من التداول فوراً.

(٣) إن كان له رأي خاص بها أصلاً؟!.

في المسألة برمتها.

فنجده يقول في مجال الحروف المقطعة من كتابه المذكور: «في ما سبق وجدنا الكثير ممن أدلوا بآرائهم في الفواتح القرآنية، ولم نجد بينها رأياً قاطعاً، بل شرحوا وجهات نظرهم مفوضين إليه تعالى التأويل الحقيقي لهذه النظريات»[١].

فالمسألة لدى سهيل قاشا وجهة نظر، وكأنها مسألة عرفية، أو قضية سياسية يحللها بما يعجبه، وبحسب وجهة نظره، ألا يعلم أن كل من يشرح أو يفسر شيئاً في الإسلام بشكل عام، وفي القرآن بشكل خاص بحسب وجهة نظره هو مبتدع، وبالتالي يكون ضالاً ومضلاً، وخارجاً عن ملة الإسلام، بل هو كافر، ومحارب للدين الإسلامي، والشرع يحكم بتجريمه.

ثم يقول: «ها أنا أتشجع لأدلو بدلوي في بئر التفسير العميق أسوة بالذين سبقوني واستخرجوا ما أحبوا ورغبوا من المعاني والتأويلات»[٢].

فالتفسير بحسب رأي سهيل قاشا (هواية) من الهوايات، أو أشبه بالقصة التي يؤلفها ويرسم شخوصها المؤلف بخلاف الواقع في أغلب الأحيان، يريد أن يثبت ما يرغب به من التأويلات، وكأن التفسير مجرد رغبة جامحة، وليس هو بالعلم الذي له أسسه ومبتنياته، وله علماؤه وأساطينه، وله أدواته، وله

(١) القرآن بحث ودراسة، سهيل قاشا، ص ٢٥٦.

(٢) م. ن، ص ٢٥٧.

حججه وأُطره التي لو خرج عنها المفسر لم يكن مفسراً، وإن تجاوزها البعض لأصبحوا من المبتدعة.

وفي هذا المضمار يقول السيد الخوئي[1] ﷺ: «التفسير هو إيضاح مراد الله تعالى من كتابه العزيز، فلا يجوز الاعتماد فيه على الظنون والاستحسان، ولا على شيء لم يثبت أنه حجة من طريق العقل، أو من طريق الشرع، للنهي عن إتباع الظن، وحرمة إسناد شيء إلى الله بغير إذنه... والروايات الناهية عن التفسير بالرأي مستفيضة من الطريقين. ومن هذا يتضح أنه لا يجوز اتباع أحد المفسرين في تفسيره، سواء أكان ممن حسن مذهبه أم لم يكن؛ لأنه من إتباع الظن، وهو لا يغني من الحق شيئاً... ولا بد للمفسر من أن يتبع الظواهر التي يفهمها العربي الصحيح... أو يتبع ما حكم به العقل الفطري

(١) السيد أبو القاسم أبن السيد علي أكبر بن هاشم الموسوي الخوئي (١٣١٧ ـ ١٤١٣ هـ) عالم و مرجع كبير، ولد في خوي أذربيجان في (١٥ رجب سنة ١٣١٧ هـ)، هاجر إلى النجف سنة (١٣٢٨ هـ) فأكمل المقدمات ثم حضر الأبحاث العالية في الفقه و أصوله على الشيخ مهدي المازندراني، و شيخ الشريعة الأصفهاني، و الشيخ محمد حسين الكمباني، و الشيخ ضياء الدين العراقي، و الشيخ حسين النائيني، و الكلام على الشيخ محمد جواد البلاغي، و السيد حسين البادكوبي، أستقل بالتدريس و إعطاء البحث الخارج مدة تجاوزت الخمسين عاماً (أكثر من نصف قرن) تخرج خلالها مئات العلماء، و عشرات المجتهدين، كان له أكبر عدد من المقلدين في جميع أنحاء العالم، توفي بالنجف الأشرف (٩ صفر ١٤١٣ هـ) و دفن بمقبرته الخاصة بالصحن الشريف بحجرة رقم (٣١)، يُعتقد بأن كان لنظام صدام العفلقي دور في اغتياله.

الصحيح فإنه حجة من الداخل كما أن النبي ﷺ حجة من الخارج، أو يتبع ما ثبت عن المعصومين عليهم السلام فإنهم المراجع في الدين، والذين أوصى النبي ﷺ بوجوب التمسك بهم»[١].

وهنا ننصح سهيل قاشا، ونقول له: أن علماء التفسير قد افتتحوا كتبهم بباب أسموه: (باب معرفة شروط المفسّر وآدابه) عليه مراجعته ليعرف هذه الأسس والآداب، لا أن يقتحم الباب عنوة بلا هدى ولا سلطان مبين.

لقد ذكر علماء التفسير في هذا الباب كل ما يحتاج إليه المفسر من أدوات في تفسيره لكتاب الله العزيز، فمنهم من أسهب، ومنهم من اختصر، ومنهم من أكتفى بذكر المهم في الموضوع.

فنجد مثلاً أن (الراغب الأصفهاني)[٢] وفي مقدمة كتاب (جامع التفاسير)، ذكر الشروط الخاصة بالتفسير ومنهج المفسر وهي:

«**الأول**: معرفة الألفاظ، وهو علم اللغة.

الثاني: مناسبة الألفاظ إلى بعضها، وهو الاشتقاق.

الثالث: معرفة أحكام ما يعرض الألفاظ من الأبنية والتعاريف والإعراب، وهو النحو.

---

(١) البيان، ص ٣٩٧ ـ ٣٩٨.

(٢) الحسين بن محمد بن المفضل المشهور والمعروف بالراغب الأصفهاني (ت ٤٢٥هـ) صاحب كتاب (مفردات ألفاظ القرآن الكريم).

الرابع: ما يتعلق بذات التنزيل، وهو معرفة القراءات.

الخامس: ما يتعلق بالأسباب التي نزلت عندها الآيات، وشرح الأقاصيص التي تنطوي عليها السور من ذكر الأنبياء عليهم السلام والقرون الماضية، وهو علم الآثار والأخبار.

السادس: ذكر السنن المنقولة عن النبي صلى الله عليه وآله وعمّن شهد الوحي ممن اتفقوا عليه وما اختلفوا فيه مما هو بيان لمجمل أو تفسير لمبهم، وذلك علم السنن.

السابع: معرفة الناسخ والمنسوخ، والعموم والخصوص، والإجماع والاختلاف، والمجمل والمفصل، وهو علم أصول الفقه.

الثامن: أحكام الدين وآدابه، وآداب السياسات الثلاث التي هي سياسة النفس والأقارب والرعية مع التمسك بالعدالة فيها، وهو علم الفقه والزهد.

التاسع: معرفة الأدلة العقلية والبراهين الحقيقية والتقسيم والتحديد، والفرق بين المعقولات والمظنونات، وغير ذلك، وهو علم الكلام.

العاشر: علم الموهبة، وذلك علم يورثه الله من عمل بما علم، وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «قالت الحكمة: من أرادني فليعمل بأحسن ما علم»، فجملة العلوم التي هي كالآلة للمفسر، ولا تتم صناعة إلا بها، هي هذه العشرة: علم اللغة، والاشتقاق، والنحو، والقراءات، والسير، والحديث، وأصول الفقه، وعلم الأحكام، وعلم الكلام، وعلم الموهبة. فمن تكاملت فيه هذه العشرة

وأستعملها خرج عن كونه مفسراً للقرآن برأيه»[١].

فلا بد لمفسر القرآن الكريم من امتلاك ذوق خاص، وعلاقة خاصة يمتزج فيها مع القرآن الكريم قلباً وقالباً، فيتجرد في رؤياه، وتفسيره للقرآن من كل نزعة وتحيز، وذلك من القليل، بل النادر بين المفسرين.

فمن أراد تفسير الكتاب العزيز، طلبه أولاً من القرآن، فما أُجمل منه في مكان، فقد فُسِّر في مكانٍ آخر، وما أُختصر في موضعٍ، فقد بسط في موضعٍ آخر منه. فإن أعياه ذلك طلبه من السنة، فإنها شارحة للقرآن، وموضحة له، ومن السنة المباركة ما قاله أهل بيت النبي ﷺ، وخزان علمه، وتراجمة وحيه، فإنهم السراج المنير، وعيبة علم اللطيف الخبير. إذ أن السنة هي: قول المعصوم، وفعله، وتقريره.

كما ويذكر الشيخ جعفر السبحاني[٢] شروطاً للتفسير أوردها في كتابه (المناهج التفسيرية) نذكرها بإيجاز، ومن أراد الاستزادة فعليه مراجعة الكتاب المذكور، مضافاً إلى كتب العلماء الأعلام التي تناولت هذا الموضوع المهم.

وهذه العلوم التي ذكرها الشيخ السبحاني هي: «١ـ معرفة قواعد اللغة العربية.

---

(١) مقدمة جامع التفاسير، ص ٩٣ ـ ٩٧.

(٢) جعفر بن محمد بن حسين السبحاني الخيابانى التبريزي، من مواليد (١٩٣٠ م) رجل دين و عالم معاصر.

٢ـ معرفة معاني المفردات.

٣ـ تفسير القرآن بالقرآن.

٤ ـ الحفاظ على سياق الآيات.

٥ـ الرجوع إلى الأحاديث الصحيحة وإجماع المسلمين.

٦ـ معرفة أسباب النزول.

٧ ـ الإحاطة بتاريخ صدر الإسلام.

٨ ـ تمييز الآيات المكية عن المدنية.

٩ ـ الوقوف على الآراء المطروحة حول الآية.

١٠ ـ الاجتناب عن التفسير بالرأي»[١].

ولم يكتفِ سهيل قاشا بذلك ـ بأن أدلى بدلوه في بئر التفسير حسب تعبيره ـ بل الأدهى من ذلك حصره لآراء المفسرين بشخصين، فهو يقول: «إنها محاولة بسيطة ليس إلا، لتفسير ما عجز عن تفسيره (الجلالين) الذي دائماً يقول فيها: (الله أعلم بمراده بذلك)، وابن كثير، وغيرهما من حجة المفسرين وأعلامهم»[٢].

---

(١) المناهج التفسيرية، جعفر السبحاني، ص ٢٥ ـ ٤٥.

(٢) المصدر السابق، ص ٢٥٧.

فحجة المفسرين وأعلامهم في نظر سهيل قاشا هما فقط (الجلالين)[١]، و(أبن كثير) وليس هنالك أحد فسر أو عمل بالتفسير غير هؤلاء المفسرين، كما وإن تفسير (الجلالين)[٢] ليس تفسير للقرآن، بل هو تفسير للمعاني فقط، أما وعلى وجه العموم فتفسير الجلالين، وتفسير أبن كثير هي تفاسير متأخرة كثيراً عن التفاسير التي سبقتهما، بل لا يكاد يكون رأيهما حجة في كثير من المواضع نظراً لما سبقهما به أئمة التفسير، وأساطين هذا العلم.

وما قوله هذا إلا تهميش لكل من سبق هذين التفسيرين، فهو قد أغفل تفاسير علماء مدرسة أهل البيت عليهم السلام، فضلاً عن تفاسير العامة في القرون الهجرية الأُول، كما وان الكل يعلم علم اليقين أن أساتذة صنعة التفسير الأوائل هم الشيعة من تلامذة مدرسة أهل البيت عليهم السلام، وعنهم أخذ علماء أهل السنة الإجازة في التفسير، وباقي العلوم القرآنية[٣].

ولو رجعنا إلى أساسيات مذهب أهل البيت عليهم السلام فإن عدل القرآن، وتراجمته، وعلماءه هم أهل البيت عليهم السلام فقط وذلك بنص النبي الأكرم صلى الله عليه وآله،

---

(١) ولا أدري هل يعتقد سهيل قاشا بأن الجلالين هو شخص واحد؟، أم أنه يعتقد كما يعتقد المستشرق (روبرت روبرتس) في كتابه القوانين الاجتماعية في القرآن صفحة (١٢٠ ـ ١٢١) بأن تفسير الجلالين هو من تأليف رجل وأبنه، الأب هو جلال الدين السيوطي، والأبن هو جلال الدين المحلي؟! و العجيب أنه نال شهادة الدكتوراه على هذا البحث!؟

(٢) جلال الدين السيوطي (ت ٩١١ هـ)، وجلال الدين المحلي (ت ٨٦٤ هـ).

(٣) بل الكثير من العلوم الأُخر.

تشهد على ذلك جميع كتب الحديث.

فقد قال رسول الله ﷺ في حديث الثقلين المروي عن الفريقين متواتراً: «إني مخلف فيكم الثقلين، كتاب الله، وعترتي أهل بيتي، ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبداً»[١].

(١) حديث متواتر، ذكر في أكثر من مصدر، ومعروف لدى المدرستين.

التجني على الشيعة

لقد بلغت الجرأة بسهيل قاشا أن ادعى على الشيعة ما لم يذكروه في كتبهم ولم يذكر أي دليل على ذلك، أو مصدر لهذه الادعاءات الباطلة.

فيقول: «ورأى بعض الشيعة في مجموعة هذه الفواتح إذا حُذف المكرر فيها ما يفيد أن (صراط علي حق نمسكه)»[1].

و نسأله قائلين: أي (مصدر) أو (مرجع) شيعي يذكر هذا الرأي؟، وما عنوان (الكتاب) الذي وجدت فيه هذا القول؟، ومن القائل به؟، ومن هم أولئك البعض الذين يقولون بذلك؟، وهل أصبح قول البعض ـ لو صدق ـ حجّة على الشيعة بأجمعهم؟!

في الحقيقة: لقد وصل به الحال إلى تبني المفتريات من الأقوال الشاذة التي لا أصل لها أبداً، فيقول: «ليس لنا كبير غناء في تفاسير الفرق المتطرفة كالقرامطة وغلاة الشيعة، ولقد ذهب هؤلاء في اتجاهات تفسيرية خاصة نجد

---

(١) القرآن بحث ودراسة، ص ٢٥٠.

صداها في كتاب القمي (ت ١٧٠٠) المدعو غرائب القرآن ورغائب الفرقان، والمعروف بتفسير النيسابوري لأن واضعه نشأ وأقام في نيسابور، والقاشاني (ت ١٦٧٩)، وغاية الشيعة في مصنفاتهم التفسيرية إظهار النصوص التي تشير إلى زعامة علي وسلالته، ويدّعون أن النصوص العلوية وإن كانت قليلة في القرآن فذلك لأن معظمها قد أُسقط على يد أبي بكر وعمر وعثمان والحجاج، وأما بقيته فمن اليسير الاستدلال إليه مع شيء من تحوير صورة الرسم الكلامي»[١].

فمن أين جاء بهذه الأقوال، ثم كيف له أن يرمي الناس بالتطرف، مع أن قوله هذا هو التطرف بعينه، وهو بذلك يحاكي قول الكاتب الأمريكي (كارل إيرنست)[٢] الذي يقول: «وهنالك تفاسير تحاول بأسلوب منظم برهنة تأويل طائفي، كما هو مشاهد في كثير من مؤلفات الشيعة»[٣].

وأمثال هذه الدعوات المستنسخة كثيرٌ جداً، فلا شك بأن سهيل قاشا أخذ من ذلك المستنسخ والمفترى كادعاءات المستشرق (أف بول) الذي يقول: «بأن الشيعة تصر على أن أهل السنة قاموا بحذف آيات من القرآن

---

(١) م. ن، ص ١٥٢.

(٢) كارل إيرنست كاتب أمريكي متخصص بالدراسات الإسلامية، يركز في كتاباته على قضايا كراهية الإسلام في أمريكا، كتاباته منحازة.

(٣) على نهج محمد، كارل إيرنست، ص ١٣٩. أما المعنى الحقيقي لعنوان الكتاب فهو (بعد محمد).

الكريم تؤيد مذهب الشيعة»[١].

و هذا القول[٢] قد أورده الآلوسي في تفسيره[٣]، وهو ممن يعرف بالتلفيق وبالخصوص على الشيعة الامامية.

كما وان هذا النوع من الاستخراج الحسابي ـ كما أوردنا مسبقاً ـ والذي يعرف بـ (حساب أبي جاد) وقد شدد العلماء على إنكاره والزجر عنه[٤].

وسهيل قاشا عند تعرضه لقضية الإعجاز ورأي العلماء فيها يقول: «وقال المرتضي من الشيعة»[٥].

فهو يقول: (قال المرتضي) بالياء، لا بالألف المقصورة (ى)، فهل هو يقصد السيد المرتضى[٦] علم الهدى، أم أن المرتضي المذكور في كتابه شخصٌ آخر لا نعرفه، يعرفه هو فقط؟، ثم ما مصدر هذا القول، ومن أي كتاب أخذه؟

---

(١) مذاهب التفسير الإسلامي، جولدتسيهر، ص ٢٩٤.

(٢) أي ادعاء (صراط علي حق نمسكه)، فوضع مقابله قول: (صح طريقك مع السنة)، و لا نعرف من أين جاء به، و ما دليله عليه.

(٣) تفسير الآلوسي (روح المعاني)، ج١، ص ١٠٤.

(٤) مباحث في علوم القرآن، صبحي الصالح، ص ٢٣٧.

(٥) القرآن بحث ودراسة، سهيل قاشا، ص ١٠٧ ـ ١٠٨.

(٦) السيد المرتضى، أو الشريف المرتضى، علم الهدى (٣٥٥ ـ ٤٣٦ هـ) عالم و فقيه و مجتهد إمامي من علماء القرن الرابع الهجري، من تلامذة الشيخ المفيد.

إن هذا تجن حقيقي خال من الأمانة العلمية، وبعيد كل البعد عن أسس البحث العلمي الرصين.

وفوق كل ذلك فإن سهيل قاشا يقول (إنها محاولة بسيطة).

طبعاً بسيطة لمن لا يحترم الأديان، ولا يعرف أساسيات الدين الإسلامي، فهو غير مسلم فإن أصاب ولو بأية طريقة كانت فقد حقق مبتغاه، وإن أخطأ وبالتالي أحدث خللاً ما فلا يهم لأن الكتاب ليس كتابه، والدين ليس دينه، وأتباعه لا يمتون له بأي صلة، وهو بذلك يتشبه بـ (مروان بن الحكم)[١] يوم (وقعة الجمل)[٢] وهو يرمي بالسهام على كلا طرفي المعركة ويقول: (أينما وقعت فتح).

---

(١) مروان بن الحكم بن أبي العاص الأموي (٢ ـ ٦٥ هـ) رابع حكام بني أمية، قتلته زوجته (أم هاشم) المعروفة بـ (فاختة)، و كانت قبله زوجة ليزيد بن معاوية بن أبي سفيان الأموي و التي ولدت منه (معاوية و خالد و أبا سفيان) و كان سبب القتل متشعباً، و منه انه عير خالداً بكلمات نابية عن أمه أمام الملأ، فما كان منها إلا أن وضعت وسادة على رأسه و هو نائم عندها و جلست عليها هي و جواريها إلى أن مات، كان يعرف بانه (خيط باطل) أبو الحكم كان طريد رسول الله ﷺ و هو ـ أي الحكم ـ عم عثمان بن عفان.

(٢) وقعة الجمل أو حرب الجمل وقعت في البصرة سنة (٣٦ هـ) بين جيش أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام من جانب، و الجيش المنشق بقيادة طلحة و الزبير و معهما عائشة و مروان بن الحكم من جانب آخر.

عن أبي بصير قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: «ترد علينا أشياء ليس نعرفها في كتاب الله، ولا سنة، فننظر فيها؟ فقال: لا، أما إنك إن أصبت لم تؤجر، وإن أخطأت كذبت على الله عز وجل»[١].

(١) الكافي، ج١، ص ٥٦.

كاتب السر اليهودي المجهول

يقول سهيل قاشا مدعياً على النبي محمد ﷺ: «كان كاتب سره يهودي، ثم لما خاف أن لا يؤتمن أمر زيد بن ثابت ليتعلم السريانية واليهودية ليكون كاتب سره»[1].

فقد ذكر سهيل قاشا هذا الكلام بلا أدنى دليل من مصدر أو مرجع يرجع اليه الباحث، فأورد ذكره وكأنه من المسلمات التي لا لبس فيها أبداً، ولا أدري كيف يعامل هو وأمثاله حادثة لها أكثر من (١٠٠٠) سنة ـ قد غابت عنه تفاصيلها يقيناً ـ معاملة المسلمات؟ وكيف يذكر رأياً لا أصل له لم نسمع عنه إلا منه؟ فهل لديه علم ما لا يعلم به غيره؟ أم هذا مجرد ادعاء باطل يضاف إلى سلسلة الادعاءات التي ساقها في كتابه؟!

ونحن مع ذلك نسأل ونقول: من ذلك اليهودي الذي كان كاتب سر النبي ﷺ؟ وهل جعله النبي محمد ﷺ كاتب سره يهودياً؟ وهل بقي على يهوديته؟ أم أنه أسلم؟

---

(١) القرآن بحث ودراسة، ص ٢٥٧ ـ ٢٥٨.

في الحقيقة: لا نعلم من أين جاء بهذه الأقوال البعيدة عن ذهن العاقل، فهو يتخبط ويبحث في ادعاءات المستشرقين وأعداء الإسلام ليأتينا بما شذ من الآراء فيطرحها طرح المسلمات، وكأن كل ما قيل يصح نقله، أو يصح قوله أو التصريح به.

هنا لا بد من ذكر ملاحظة مهمة هي؛ أن المائز لكتابات سهيل قاشا الكثيرة هو: ذكره آراء، وكلمات، ونظريات تفتقر إلى أدنى دليل، وهو يوردها بلا أي ذكر للمصدر الذي اعتمد عليه في النقل، أو المرجع الذي استقى منه.

ويمكن للقارئ أن يراجع الكتب بخصوص كُتاب الوحي، أو كُتاب النبي محمد ﷺ ليتعرف على أسمائهم، وأصولهم، وتراجمهم ليتسنى له معرفة صدق أو كذب القول المذكور. لذا فنحن نحيل القارئ إلى تلك المصادر لكي يتأكد منها حول أصل ما جاء به هذا القس المسيحي، وغيره من المتقولين.

وما هذا القول إلا إعادة لما جاء به بعض المستشرقين كالمستشرق (لوث) الذي عزى الحروف المقطعة إلى التأثير اليهودي على النبي ﷺ، لو دقق أحد في هذه الدعوى للاحظ بطلانها بأبسط نظر، وذلك لأن سبعاً وعشرين سورة من السور المحتوية على الحروف المقطعة هي مكية، وليس بينها من السور المدنية سوى اثنتين فقط.

لكن بعض المصادر ادعت أن النبي محمد ﷺ قد قام بتأليف القرآن

بمساعدة راهب مسيحي، وآخر يهودي فارسي اسمه (عبد الله بن سلام)[١] كما يَدعون[٢].

كما وقد أورد الطاعنون بالقرآن الكريم، وبنبوة النبي محمد ﷺ أسماء للأعاجم الذين كانوا في مكة والذين اتهموا بتأليف القرآن، وعلموه للرسول ﷺ فصاغة بعد ذلك باللغة العربية، وهم: الحداد النصراني (بلعام)، وغلام بني المغيرة (يعيش)، و(جبر) الغلام الرومي لبعض بني الحضرمي، و(يسار) الغلام الفارسي من عين التمر، و(عائش) الغلام النصراني عبد حويطب بن عبد العزى، و(عداس) غلام عتبة بن ربيعة[٣].

إن القرآن الكريم يرد على كل هذه الافتراءات بآياته المباركة.

قال تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ (سورة العنكبوت، الآية ٤٨).

لقد زعم المشككون أن القرآن الكريم ليس كلام الله، وإنما هو من تأليف شخصٍ ما علمه للنبي محمداً ﷺ، وقد اختلفوا في تحديد اسم ذلك

---

(١) قيل أن اسمه كان (الحصين) فسماه النبي ﷺ عبد الله، كما يذكر ذلك البخاري، ج ٥، ص ٣٧، والمشهور أنه من رواة الإسرائيليات.

(٢) ورد ذكر هذا القول في كتاب: دفاع واعتذار لمحمد والقرآن، جون ديفنبورت، ص ١٣٢، الهامش.

(٣) هل القرآن معصوم؟، عبد الله الفاني، ص ٢٣٦.

الشخص الأعجمي، ومن الأسماء التي رددها الرواة: (بلعام، ويعيش، وجبر، ويسار، وعداس)[١].

ولقد ردت آيات القرآن الكريم في أكثر من مكان على هذا الزعم الباطل، ومنها قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ﴾ (سورة النحل، الآية ١٠٣).

فالآية الكريمة قالت بأن لسان ذلك الشخص أعجمي، والقرآن لسان عربي مبين، فكيف للأعجمي الذي لا يعرف إلا بضع كلمات عربية يكاد لا يحسن نطقها بالشكل الصحيح أن يؤلف كلاماً عربياً بلغ الذروة في البلاغة والفصاحة؟!

قال السيد الطباطبائي ﷺ في تفسير الآية المتقدمة ما نصه: «وملخص الجواب مأخوذ من جمع الآيات الثلاث؛ ان ما اتهمتموه به أن بشراً يعلمه ثم هو ينسبه الى الله افتراء إن أردتم أنه يعلمه القرآن بلفظه بالتلقين عليه وأن القرآن كلامه لا كلام الله فجوابه: أن هذا الرجل لسانه أعجمي وهذا القرآن عربي مبين»[٢].

---

(١) كل ذلك كان مجرد نظريات، و افتراءات وردت في كتب المسيحيين واليهود والمستشرقين وأعداء الإسلام.

(٢) تفسير الميزان، ج١٢، ص ٣٧٢، تفسير سورة النحل، الآية ١٠٣.

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ ۗ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ﴾ سورة فصلت، الآية (٤٤).

يقول ابن عطية[١] في التعليق على هذه الآية: إنها نزلت بسبب تخليط قريش في أقوالهم من أجل الحروف التي وقعت في القرآن وهي مما عُرب من كلام العجم كالسجين والإستبرق ونحوه فقال ولو جعلنا هذا القرآن أعجمياً لا يبين لقالوا واعترضوا لولا بينت آياته[٢].

(١) عبد الحق بن غالب المحاربي الغرناطي الأندلسي (٤٨١ ـ ٥٤١ هـ) المعروف بـ (ابن عطية).

(٢) المحرر الوجيز، ج١٣، ص ١٢٥.

فرية أخذ القرآن الكريم من اللغات والثقافات الأُخرى

يقول سهيل قاشا: «ليس هناك بين الباحثين من العرب والمسلمين من يجهل ما بين القرآن واللغة السريانية من صلة وعلاقات متينة. فهناك العديد من المفردات والألفاظ والمعاني السريانية مبثوثة في سور القرآن وآياته، ولست هنا بمعرض لسردها أو شرحها»[1].

ويقول: «وأما أن يكون لمضمون ذاك الوحي مصادر في التوراة والإنجيل، فذلك مما يقر به القرآن نفسه في مواضيع كثيرة»[2].

في الحقيقة لا يمكن إنكار ما بين القرآن الكريم، والكتب السماوية المنزلة قبله من تطابق، وتوازن، وتتميم، فالله سبحانه وتعالى قد وضح في كثير من آيات القرآن الكريم، ومن ذلك على سبيل المثال:

١ ـ أنه القرآن يهدي المسلمين إلى سنن الذين كانوا من قبلهم:

قال تعالى: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ

---

(١) القرآن بحث و دراسة، سهيل قاشا، ص ٢٥٧.

(٢) م. ن، ص ١٢.

وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (سورة النساء، الآية٢٦).

٢ ـ أنه للاقتداء بمن سبق من الأنبياء عليهم السلام:

قال تعالى: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ ﴾ (سورة الأنعام، الآية ٩٠).

٣ ـ انّه كتاب هداية:

قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ﴾ (سورة الأنعام، الآية ٨٨).

٤ـ انّه لأخذ العبرة:

قال تعالى: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴾ (سورة يوسف، الآية ٣).

وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ﴾ (سورة غافر، الآية٧٨).

٥ـ أن الرسالات والكتب السماوية من الله تعالى:

قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِىَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ ﴾ (سورة غافر، الآية ٧٨).

٦ـ ليعلم الكل بأن سنن الله تعالى واحدة، والذين بدلوها هم البشر:

قال تعالى: ﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾ (سورة الفتح، الآية ٢٣).

٧ـ إن القرآن الكريم أحد الكتب السماوية فيه ما فيهن:

قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ * صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾ (سورة الأعلى، الآيات ١٨ ـ ١٩).

بل ومصدق، ومهيمن، وشاهد على الكتب السماوية الأخرى:

قال تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ﴾ سورة المائدة، الآية (٤٨).

يقول الزمخشري في كتابه (الكشاف) حول ذلك: (أي رقيباً على سائر الكتب؛ لأنه يشهد لها بالصحة، والثبات)[١].

هذا من حيث الأصل، ومن حيث كون (التوراة والإنجيل) كتب سماوية وقبل تعرضها للتحريف.

٨ـ الكتب السماوية السابقة إما فقدت، أو رفعت، وما موجود منها الآن ما هو إلا مسميات، أما المحتوى فهو محرف، كتب بعد الرسل على أيدي رجال الدين، وظل يضاف له ويحذف منه حتى حال الحاضر:

---

(١) الكشاف، الزمخشري، ج١، ص ٤٩٧.

قال تعالى: ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (سورة البقرة، الآية ٧٥).

وقال تعالى: ﴿إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ (سورة المائدة، الآية ٤٨).

يقول الطاهر بن عاشور[١] في شرح الآية (٤٨) من سورة المائدة المتقدمة الذكر ما نصه: «وقد أشارت الآية إلى حالتي القرآن بالنسبة لما قبله من الكتب، فهو مؤيد لبعض ما في الشرائع مقرر له، من كل حكم كانت مصلحته كلية لم تختلف مصلحته باختلاف الأمم والأزمان، وهو بهذا الوصف مصدق، أي محقق ومقرر، وهو أيضاً مبطل لبعض ما في الشرائع السالفة، وناسخ لأحكام كثيرة من كل ما كانت مصالحه جزئية مؤقتة مراعي فيها أحوال أقوام خاصة»[٢].

لم يذكر القرآن الكريم في آياته المباركة أن لا علاقة بينه وبين الرسالات

---

(١) محمد الطاهر بن عاشور (١٨٧٩ ـ ١٩٧٣ م) عالم و فقيه تونسي ترجع أصوله إلى أشراف أدارسة المغرب.

(٢) التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، ج ٦، ص ٢٢١.

السماوية، بل جاء مصدقاً لما بين يديه من الكتب والصحف، مبيناً ما بها من التحريف، والباطل الموجود بين أيدي مدعي التبعية لها، ولا فرق بين ما ذُكر في القرآن الكريم وباقي الكتب السماوية في مجال أسس الدين، والعقائد، والتعاليم، والسنن، والمواعظ، والعبر، وباقي العبادات، فأوامر موسى عليه السلام، ومواعظ عيسى عليه السلام مذكورة في القرآن الكريم، وهذا لا يدل على أن القرآن الكريم قد أخذ من التوراة أو من الإنجيل، وإنما يدل على أن المصدر واحد، وهو الله سبحانه وتعالى.

قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ * نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ * مِن قَبۡلُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلۡفُرۡقَانَۗ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٍ﴾ (سورة آل عمران، الآيات ٢ ـ ٤).

وسهيل قاشا يمارس ديدنه وطبيعته في انتحال وتبني الآراء من دون أن يذكر القائلين بها، فهذا الرأي المتقدم في أصل المطلب قال به العديد من المستشرقين قبله، لكن يمكننا أن نشير إلى بعض الأبحاث المهمة بهذا الصدد، والتي من الظاهر أن سهيل قاشا قد انتحل منها ادعاءاته وهي:

١ـ المحاضرة التي ألقاها المستشرق الألماني (برجشتراسر)[١] في الجامعة المصرية عام (١٩٢٩ م) والتي تحدث فيها عن أن العربية أخذت

(١) ج. برجشتراسر (١٨٨٦ ـ ١٩٣٢ م).

من اللغات الأجنبية، وورد الكثير منها في القرآن الكريم، وتحدث عن قضايا تتعلق بنحو اللغات السامية، وخص باباً للمفردات، وقد جعله لمناقشة الدخيل في العربية من مجموع لغات (فارسية، وحبشية، وآرامية، وأكدية، ويونانية، ولاتينية). ويمكن مراجعة كتابه الذي يحمل عنوان (التطور النحوي)[١] لمراجعة (الدخيل) كما يسميه[٢].

٢ـ ما أورده المستشرق الألماني (تيودور نولدكه) في كتابه (تاريخ القرآن)[٣] بتعديل (فريدريش شيفالي)[٤] فقد أورد أن عدداً من ألفاظ القرآن ليست عربية أصيلة، بل هي دخيلة من إحدى اللغات القديمة.

٣ـ في بحث تحت عنوان (التأثير السرياني على أسلوب القرآن)، نشرة (رينالدز)، سنة (١٩٢٧ م) يشير الكاتب المسيحي الكلداني (ألفونس منجانا)[٥] الحائز على شهادة الدكتوراه في اللاهوت إلى تأثر القرآن الكريم

---

(١) التطور النحوي، ص ٢٢١ ـ ٢٢٨، ترجمة: رمضان عبد التواب، نشر مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط٣، ١٩٩٧ م.

(٢) هل في القرآن أعجمي، فهمي خشيم، ص ١٣.

(٣) تاريخ القرآن، تعريب: جورج تامر، ط١، بيروت ٢٠٠٤، مؤسسة كونراد ـ أدناور.

(٤) فريدريش شيفالي: تلميذ نولدكه.

(٥) ألفونس منجانا، أو منغنا، لاهوتي كلداني، ولد باسم هرمز منغنا في شرانش قرب زاخو بالعراق سنة (١٨٧٨ م)، درس في دير الاباء الدومينكان بالموصل، درس السريانية و العربية و التركية و الفارسية و الكردية و العبرية و اللاتينية و الفرنسية، هاجر الى المملكة المتحدة سنة (١٩١٣ م) و عاش فيها إلى حين وفاته سنة (١٩٣٧ م). و بذلك يعرف من

باللغة السريانية في عدة جوانب أوردها في بحثه سالف الذكر.

ويذكر (منجانا) أمثلة على هذا التأثير كـ(أسماء الأعلام[١]، والمصطلحات الدينية[٢]، والكلمات العامة[٣]، وقواعد الأملاء[٤]، وتركيب الجمل، وبعض القصص).

٤ـ ادعاءات (كريستوفر لوكسمبورغ)[٥] المختص باللغات السامية القديمة في كتابه (القراءة السريانية للقرآن) أو (قراءة سريانية ـ آرامية للقرآن: مساهمة في تحليل لغة القرآن) إذ يرى: أن «للقرآن جذوراً سريانية، ويجب قراءة القرآن عبر اللغة التي ولد فيها»[٦].

أين جاء سهيل قاشا ببعض الدعوات حول تأثر القرآن بالسريانية، و ذلك استنساخاً لدعوات أبن بلدته (منجانا).

(١) مثل سليمان، وفرعون، وإسحق وغيرها.

(٢) مثل كاهن، ومسيح، وقسيس.

(٣) مثل قرآن، وحسبان، ومهيمن.

(٤) مثل حيوة من حياة، و صلوة من صلاة وهكذا.

(٥) و على الأكثر ان اسم (كريستوفر لوكسمبورغ) هو أسم مستعار، كما و أنه ليس ألماني كما يدعي او يشاع، بل هو لبناني الأصل، و هو صديق (جوزيف قزي) و لهما مشروع مشترك في الرد على القرآن الكريم، كما و انه من اصدقاء و اساتذة (لويس صليبا). و ظاهرة الأسماء المستعارة شاعت في السنوات الأخيرة لدى المتهجمين على القرآن الكريم، و مردها إلى الخوف على (المؤلف الحقيقي) من ردة الفعل ضدهم لتطاولهم على الثوابت الإسلامية.

(٦) جريدة القاهرة، العدد ٢٦٣، الثلاثاء ٢٦ أبريل ٢٠٠٥ م.

٥ـ ما كتبه (ريتشارد بيل) تحت عنوان: (أصل الإسلام في بيئته المسيحية)، طبعة لندن سنة (١٩٢٦ م)، وأعيد طبعه سنة (١٩٦٨ م).

٦ـ ما كتبه (تور أندريا) تحت عنوان: (أصل الإسلام والمسيحية)، طبعة أوبسلو سنة (١٩٢٦ م).

٧ـ كتاب الحاخام اليهودي (إبرهام جيجر): في (ماذا أخذ محمد من النصوص اليهودية)، طبعة مدينة (بون)، سنة (١٨٣٣ م)، وط٢ في ليبزج ١٩٠٢ م، واعيد طبعه عام ١٩٦٩ م.

٨ ـ مقالة (العناصر اليهودية في القرآن)، للمستشرق (هيرشفيلد)، منشورات (برلين)، (١٨٧٨ م)، وله مقالة أخرى (في شرح القرآن) ليبزج (١٨٨٦ م)، وأبحاث جديدة في فهم وتفسير القرآن، لندن (١٩٠٢ م).

٩ـ ما كتبه (سيدرسكي) تحت عنوان: (أصل الأساطير الإسلامية في القرآن)، باريس، سنة (١٩٣٢ م).

١٠ـ ما كتبه (هاينرش سبرنجر) تحت عنوان: (قصص الإنجيل في القرآن)، باريس، الطبعة الخامسة، برلين ـ ألمانيا، سنة (١٩٢٩ م).

١١ـ بحث (هورفيتز) في: (الأسماء اليهودية ومشتقاتها في القرآن)، الذي نشر في حوليات الكلية العبرية، المجلد الحادي عشر، سنة (١٩٢٥ م)، صفحة (١٤٥ ـ ٢٢٧)، والتي ذكر فيها العديد من الكلمات ليثبت أنها كلمات

مشتقة من العبرية، وأن محمداً تعلمها من اليهود في مكة، وخاصة يهود المدينة[١]. كما وله (بحوث قرآنية)، برلين ـ ليبزج (١٩٢٦ م).

١٢ـ ما كتبه (إسرائيل شابيرو) تحت عنوان: (الحكايات التوراتية في أجزاء القرآن)، برلين سنة (١٩٠٧ م). وله (عناصر الهجادة في قصص القرآن) ليبزج (١٩٠٧ م).

١٣ـ ما كتبه (آرثر جيفري)[٢] تحت عنوان: (الكلمات الأجنبية في القرآن)، منشورات المعهد الشرقي، باردوا، سنة (١٩٣٨ م).

١٤ـ ما كتبه (دفوراك) تحت عنوان: (حول الكلمات الأجنبية في القرآن)، منشورات فيينا، سنة (١٨٨٥ م).

١٥ـ ما كتبه (س. فرنكل) تحت عنوان: (الكلمات الأجنبية الآرامية في اللغة العربية)، منشورات ليدن، سنة (١٨٨٦ م).

١٦ـ المستشرق الألماني (اوغست فيشر)[٣] والذي طرد من عضوية

---

(١) دفاع عن القرآن ضد منتقديه، عبد الرحمن بدوي، ص ٣٨.

(٢) آرثر جيفري (١٨٩٢ ـ ١٩٥٩ م) من حرري مجلة العالم الإسلامي التبشيرية و أبرز كتابها، و قد بعث للعمل في الجامعة الأمريكية في بيروت، ثم للتبشير في أمريكا اللاتينية، ثم إلى مدرسة اللغات الشرقية بالقاهرة. له عدة جدليات ضد القرآن نشر بعضها في مجلة العالم الإسلامي ١٩٣٥ م، و نشر بعضها في كتابه (مصادر تاريخ القرآن) و أودع بقيتها في مقدمة تحقيقه لكتاب المصاحف لأبي بكر بن أبي داود.

(٣) اوغست فيشر (١٨٦٥ ـ ١٩٤٨ م).

المجمع اللغوي سنة (١٩٤٥ م) لأنه كتب رسالة بعنوان (آية مقحمة في القرآن)، كما ادعى أن الاسم (محمد) كان يستعمل بين البيزنطيين قبل الإسلام؛ وليس أقل غرابة ولا أبعد في المبالغة من زعمه أن سكان مكة، والمدينة، وأجزاء من الأماكن المحيطة بهما، قد تخلوا عن استعمال الإعراب في زمن النبي ﷺ وبعده.

١٧ـ المستشرق الفرنسي (بلاشير)[١] والذي يزعم بأن فقرة (الغرانيق) المزعومة من صميم القرآن، وأن القرآن قد تعرضت أجزاء منه للضياع سواء المحفوظ منها في الذواكر، أم المسطور منها في الدفاتر. ويردد بلاشير دعوى المستشرق اليهودي (إبرهام جيجر) وغيره، بأن القرآن مأخوذ من مصادر يهودية ونصرانية.

١٨ـ المستشرق (ألفريد جيوم)[٢] الحاصل على عضوية المجمع العلمي العربي بدمشق عام (١٩٤٨ م)، والمجمع العلمي العراقي عام (١٩٤٩ م) والذي قدم دراسات قامت على أساس (بشرية القرآن)، وانتحال النبي محمد ﷺ مادة القرآن من اليهودية والنصرانية، وأخطر ما كتب هذا المستشرق كتابيه (حياة محمد) أكسفورد ١٩٥٦ م، وكتاب (الإسلام) عام ١٩٥٤ م.

---

(١) بلاشير (١٩٠٠ ـ ١٩٧٠ م).

(٢) الفريد جيوم أو غيوم أو غليوم (١٨٨٨ ـ ١٩٦٦ م).

١٩ـ كتاب (دراسات قرآنية: مصادر الكتب المقدسة وطرق تفسيرها)[١] للمستشرق الامريكي (جون وانسبرو)[٢] صاحب نظرية: (ان القرآن لم ينتج بمكة)[٣].

٢٠ـ كتاب (هل القرآن معصوم؟) المنسوب إلى رجل دين نصراني يدعى (عبد الله الفاني)، والظاهر أن هذا الاسم مستعار، وصدر الكتاب عن مؤسسة تنصيرية في النمسا، اسمها (ضوء الحياة)، وظهرت طبعته الأولى عام (١٩٩٤م)، تكفلت بتوزيعه هيئات ومراكز التبشير النصرانية.

٢١ـ كتاب (القرآن دعوة نصرانية) للقس المسيحي (يوسف درة الحداد)[٤].

٢٢ـ كتاب (قس ونبي بحث في نشأة الإسلام) لمؤلفٍ أسمه (أبو موسى الحريري)[٥]، ويبدو أن هذا الاسم مستعار أيضاً.

وللاطلاع على المزيد من هذه الادعاءات يمكن الرجوع إلى أقوال،

---

(١) طبعة اكسفورد ١٩٧٧ م.

(٢) جون وانسبرو (١٩٢٨ ـ ٢٠٠٢ م).

(٣) موسوعة بيان الإسلام: الرد على الافتراءات و الشبهات، القسم الأول، القرآن، مجلد ١، ج١، ص ٤٧.

(٤) قس مسيحي سوري (١٩١٣ ـ ١٩٧٩ م).

(٥) و هو اسم مستعار للقس المسيحي (جوزيف قزي).

ونظريات، وآراء كلُ من (ابن العبري)[١]، و(فيليب حتى)[٢]، و(كارل إيرنست)، و(ميخائيل برائر)، و(ايتان كولبرج)[٣]، والمستشرق (ريتشارد بيل) في كتابه (أصل القرآن في بيئته المسيحية) الذي طبع في لندن عام (١٩٢٦ م)، و(سانت كلير تسدال)[٤] الذي كان قسيس مبشر في ايران، والذي صنف كتاباً خطيراً على القرآن هو (المصادر الأصلية للقرآن) كما وكتب في عام (١٩١٣ م) مقالاً بعنوان: (اضافات الشيعة على القرآن)، واليهودي (إبرهام جيجر) ، و(كريستي ويلسون)، و(ريكولدو ديمونتو كروس)[٥] صاحب كتاب

---

(١) غريغوريوس أبو الفرج بن هارون الملطي و المعروف بـ (ابن العبري)، لاهوتي سرياني ولد سنة (١٢٢٦ م) في مدينة ملاطية، لقب بأبن العبري على قول أنه من أصل عبري يهودي، مات سنة (١٢٨٦ م) و دفن في دير ما متي للسريان الأرثوذكس بالموصل العراق.

(٢) فيليب حتى أو حتي: (١٨٨٦ ـ ١٩٧٨) مؤرخ أمريكي مسيحي من أصل لبناني، فهو يقول: إن مصادر القرآن هي بلا شك: المسيحية واليهودية والوثنية العربية.

(٣) ايتان كولبرج (١٩٤٣ ـ.... م) باحث يهودي إسرائيلي.

(٤) سانت كلير تسدال (١٨٥٩ ـ ١٩٢٨ م).

(٥) ريكولدو ديمونتو كروس (١٢٤٣ ـ ١٣٢٠ م) راهب دومنيكي و مبشر شديد الخصومة على الإسلام.

لقد استفاد ريكولدو دي مونت كروس من كتاب (نقض الفقهاء) لأحد النصارى الاسبان و الذي كان له التأثير الكبير عليه، و قد أفاد كروس من هذا الكتاب في تصنيف أشهر كتبه (تفنيد القرآن) الذي تُيم به مارتن لوثر و سارع إلى ترجمته للألمانية عام ١٥٤٢ م. راجع: الاستشراق به الموضوعية و الافتعالية، قاسم السامرائي، ص ٦١.

(تفنيد آيات القرآن) ، والكاردينال (نيقولا دي كوزا)[١] والذي كتب بتوجيه من البابا (بيوس الثاني) كتابين هما: نقد وتفنيد الإسلام، وكتاب غربلة القرآن[٢]، وميشيل نان في كتابه (الكنيسة الرومانية اليونانية في الشكل والمضمون للدين المسيحي ضد القرآن والقرآنيين دفاعاً وبرهاناً) عام (١٦٨٠ م)، ولودو فيجو مرتشي في كتابه (مقدمة في دحض القرآن) عام (١٦٩٨ م)، ووليم موير[٣] في كتابيه (القرآن: تأليفه وتعاليمه ١٨٧٧ م) و(الجدال مع الإسلام ١٨٩٧ م)[٤]، وغيرهم.

وكذلك نجدها في آراء (جوزف شاخت)[٥] الذي يقول: «إن محمداً قد ظهر في مكة كمصلح ديني، وإنه احتج بشدة على كفار مكة، وأهل مكة اعتبروه مجرد كاهن، أو عراف، وأنه بسبب قوة شخصيته قد دُعِي إلى المدينة في عام (٦٢٢ م) كحكم في نزاع قبلي بين أهل المدينة، وأنه كالنبي قد

(١) نيقولا دي كوزا (١٤٠١ ـ ١٤٦٤ م).

(٢) دفاع عن القرآن، بدوي، ص ٥.

(٣) وليم موير (١٨١٩ ـ ١٩٠٥ م).

(٤) موسوعة المستشرقين، بدوي، ص ٤٠٤ ـ ٤٠٥.

(٥) جوزف شاخت (١٩٠٢ ـ ١٩٦٩ م) باحث الماني في الدراسات العربية، أثار شاخت حفيظة المسلمين لأنه يشكك في صحة الأحاديث النبوية، و يرى أنها وضعت أو لفقت خلال الفترة الممتدة بين نهاية القرن الثاني و بداية القرن الثالث الهجري، و قد تابع في ذلك أستاذه (جولدتسيهر) في ادعاء تلفيق الأحاديث النبوية، و صرح شاخت بأن ذلك أستفاده من كتاب (دراسات محمدية) لأستاذه.

أصبح قائداً ومشرعاً، يحكم مجتمعاً جديداً على أساس ديني، وإن محمداً قد اقتبس من اليهود في المدينة كثيراً من الأحكام، وإن روايات جمع القرآن ملفقة، لفَّقَهَا الفقهاء، وأصول الفقه وكذلك التشريعات الإسلامية منتحلة من القانون الروماني، والقانون البيزنطي، وقوانين الكنائس الشرقية، ومن التعاليم التلمودية، وأقوال الأحبار، ومن القانون الساساني. كل هذه القوانين والتعاليم والقواعد تَشَكَّلَ منها القانون الديني للإسلام»[١].

هذه الأقوال ـ المتقدمة ـ وما شاكلها بنيت على ادعاءات واهية، وروايات ضعيفة[٢]، ومدخولات دخلت إلى الدين الإسلامي من الإسرائيليات وغيرها[٣].

كل ذلك شكّل المادة التي انطلق منها سهيل قاشا في كتابه[٤]، تبنياً منه لآراء من سبق، وبعيداً عن الموضوعية، والبحث العلمي الرصين.

فـ(منهج الأثر والتأثر) على سبيل المثال من المناهج التي نادى بها

---

(١) مقدمة للشريعة الإسلامية ص ٢٠ـ ٢١، نقلاً عن كتاب: القرآن الكريم من المنظور الاستشراقي. حاشية ص ١٠٣.

(٢) فالقول بأن القرآن الكريم يشتمل على كلمات غير عربية منسوب إلى: عبد الله بن عباس (ت٦٨ هـ)، وعكرمة (ت١٠٥ هـ)، وأبي موسى الأشعري (ت٤٢ هـ)، وإلى ذلك ذهب الزركشي (ت٧٩٤ هـ) في كتابه البرهان الجزء الأول (ص ٢٨٨ ـ ٢٨٩)، والسيوطي (ت ٩١١ هـ) في الإتقان الجزء الأول (ص ١٤٠ ـ ١٤١).

(٣) كعمليات الوضع التي قام بها السلاطين و وعاظهم لغايات خاصة.

(٤) كتاب (القرآن بحث ودراسة) طبع دار العارف، الطبعة الأولى، ٢٠١١ م.

المستشرقون ومن سبقهم من أعداء الإسلام، ومن جاء بعدهم، ومن أصطبغ بصبغتهم[١]، فهم قد نادوا بهذه النظرية ليقولوا بأن القرآن مستمد من عوامل خارجية، منطلقين بهذه الفكرة مما تعرضت له كتبهم، فمن المعلوم بأن المؤثرات الخارجية كالبابلية، والآشورية، والغنوصية، والهندوسية، والبوذية، وغيرها كان لها الأثر الكبير في تكوين ما يسمى بالنص الديني في كتب العهدين، فجاءوا بهذه الاسقاطات ليسقطوها على القرآن الكريم تعمداً وجهلاً وعداوة.

وهنا نجد ان الكاتب (بيري) يشير إلى حقيقة الديانة المسيحية بقوله: «فالذي يدرس... المسيحية يجدها اقتباسات من الوثنية، واليهودية، والحياة الشرقية، والرومانية، ويجد بها عناصر أجنبية كثيرة بارزة بها كاملة أو محرفة»[٢].

(١) أمثال: عبد الله العروي، وعبد الكريم سروش.

(٢) مقارنة الأديان، ص ٩١.

تخرصات حول الحروف المقطعة

عن قضية الحروف المقطعة يقول سهيل قاشا: «نحاول بهذه الإلمامة أن نشرح حروف الفواتح القرآنية بقولنا، إنها ليست إلا اختزالات لجمل سريانية تتطابق وسياق معنى الآية التي تليها في كل سورة، علماً أن السريان قد اعتادوا منذ القديم أن يختزلوا بعض الجمل ذات التواتر الكثير في الصلوات الطقسية، بحروف لها مدلولاتها لفظاً ومعنى»[1].

إن دعوى تشابه الحروف المقطعة مع الرموز اليهودية والنصرانية دعوى ليست بالجديدة، فقد أثار هذه الدعوة أعداء الإسلام، وركز عليها المستشرقون، هدفهم من وراء ذلك التشكيك بالقرآن الكريم.

يقول محمد عبد العظيم الزرقاني[2]: «وستجد أنه لا نسبة بين الرموز

---

(١) القرآن بحث ودراسة، ص ٢٥٨.

(٢) محمد عبد العظيم الزرقاني (ت ١٩٤٨ م) من أهالي الجعفرية في المحافظة الغربية من مصر، و نسبته إلى زرقان و هي بلدة تابعة لمحافظة المنوفية، تخرج من كلية أصول الدين، و عمل فيها مدرساً للقرآن و الحديث.

التي في أوائل السور وبين الجمل عند اليهود ورموز النصارى إلا كالنسبة بين علم الرجل العاقل والصبي، أو بين علم العلماء وعلم العامة... إن اليهود والنصارى كان لهم رموز، وكانت رموز اليهود هي حروف الجمل»[١].

فعن صيغة (البسملة) في أوائل السور ـ مثلاً ـ يورد (نولدكه) في كتابه (تاريخ القرآن)[٢]: «أن الصيغة التي تبدأ بها كل سورة في القرآن فيما عدا سورة براءة (التوبة) جاءت مقتبسة من اللغة المستعملة في الإنجيل»[٣].

ثم يورد سهيل قاشا ما يدعي بأنها نظريته، وذلك بأن يقابل بين الحروف المقطعة حرفاً حرفاً بما يشابهها من الحروف السريانية ـ بحسب مدعاه ـ فيقول: «فإذا استعنا بالشرح السرياني لهذه الحروف نجد لكل حرف معنى خاصا به»[٤].

فيقول إن (الم) الألف تقابل إيمار بالسريانية، واللام تقابل لي، والميم تقابل موريو، فيصير معنى (الم): (قال لي الرب)[٥].

ثم يورد باقي المعاني المخترعة فيقول بأن معنى (المص): «قال لي الرب

---

(١) مناهل العرفان، محمد عبد العظيم الزرقاني، ج ١، ص ٢٣٠ ـ ٢٣١.

(٢) تاريخ القرآن، ص ١١٦.

(٣) دفاع عن القرآن ضد منتقديه، عبد الرحمن بدوي، ص ١٠٧.

(٤) القرآن بحث ودراسة، ص ٢٥٩.

(٥) م. ن، ص ٢٥٩.

صل»[١]، وإن معنى (الر): «قال لي السيد»[٢]، ومعنى (المر): «قال لي الرب السيد»[٣]، ومعنى (كهيعص): «صخرة إيماننا يسوع على الصليب»[٤]، وهذه العبارة الأخيرة توضح ما يريد قوله من البداية وذلك لإثبات أحقية الإنجيل الموجود، وإنه ليس بمحرف، وهذا ما سنناقشه في حينه إن شاء الله تعالى.

كما ويقول: أن معنى (طه): «غبطة الإيمان»[٥]، ومعنى (طسم): «غبطة بشارة المسيح»[٦]، ومعنى (طس): «غبطة بشارة»[٧]، ومعنى (ص): «الصلاة»[٨]، ومعنى (حم): «حي الرب»[٩]، ومعنى (حمعسق): «حي هو السيد قوة بشارة مقدس»[١٠]، ومعنى (ق): «قرأ»[١١]، ومعنى (ن): «النور، سمكة، حوت»[١٢].

---

(١) م. ن، ص ٢٦٠.
(٢) م. ن، ص ٢٦٠.
(٣) م. ن، ص ٢٦٢.
(٤) م. ن، ص ٢٦٣.
(٥) م. ن، ص ٢٦٤.
(٦) القرآن بحث ودراسة، ص ٢٦٥.
(٧) م. ن، ص٢٦٥.
(٨) م. ن، ص٢٦٧.
(٩) القرآن بحث و دراسة، ص٢٦٨.
(١٠) م. ن، ص ٢٦٩.
(١١) م. ن، ص ٢٧١.
(١٢) م. ن، ص ٢٧٢.

وهنا نسأله: ما الدليل على حصر هذه الحروف بما جئت به من الحروف السريانية؟، فربما يُراد غيرها، وربما انه يراد منها أنها تطابق حروفاً أُخر من غير لغة، وربما لا يراد منها شيء يفهمه عامة الناس ككونها أسرار وطلاسم خاصة.

في الحقيقة إن سهيل قاشا بقوله: إن الحروف المقطعة مختصرات لكلمات أو جمل لم يأت بجديد فهو يتبنى رأيا ذكره جملة من العلماء المسلمين في مؤلفاتهم، من ذلك ما ذُكر في كتاب (الإتقان)، وفي (تفسير البيضاوي)، وذكر هذه الآراء بمجملها المستشرق الألماني تيودور نولدكه[١] في كتابه: (تاريخ القرآن)[٢].

أما قول سهيل قاشا بأن معنى (ن) الحوت أو السمكة هو رأي ذكره (تيودور نولدكه) في تاريخ القرآن[٣] أيضاً، إذ يقول: «التفسير الوحيد الذي يمكن تعليله هو أن (ن) تعني (الحوت) نظراً إلى أن (ن) التي انتقلت من اللغات السامية الشمالية إلى اللغة العربية تعني فعلاً حوت، ويونس المدعو في سورة القلم (صاحب الحوت) يدعى أيضاً (ذو النون)»[٤].

---

(١) ذكر تيودور نولدكه في تاريخ القرآن خمسة آراء حول معاني الحروف المقطعة (ص٣٠٢).

(٢) تاريخ القرآن، ص ٣٠٠ ـ ٣٠١.

(٣) م. ن، ص ٣٠١.

(٤) م. ن، ص ٣٠١.

و هو بصراحة قد نقل[١] قول المستشرق (شيفالي) القائل: (فالعلماء في الغرب طوروا بواسطة الصدفة أو الاستعارة كثيراً من الآراء التي هي نفسها آراء التراث الإسلامي أو تشبهها).

ثم ذكر بعض التفسيرات الإسلامية نذكر منها:

(الر) أنا الله أرى؛ الرحمن[٢].

(الم) أنا الله أعلم؛ الرحمن[٣].

(المر) أنا الله أعلم وأرى[٤].

و هكذا لمن أراد تتبع جميع الحروف المقطعة وتفسيراتها التي وردت في الكتب المذكورة وغيرها. قال بهذه الدعوى المستشرق (نولدكه) في الطبعة الأولى لكتابه (تاريخ القرآن) إلا انه وبعد انتقاد المستشرق (لوت) له تراجع عنها في الطبعات اللاحقة.

---

(١) النقل يكون بذكر المصدر، هو لم يذكر المصدر، و بذلك يكون قد سرق العبارة لكونه لم يشر إلى القائل بها.

(٢) الإتقان، ص ٤٨٦.

(٣) م. ن، ص ٤٨٦.

(٤) البيضاوي، تفسير سورة الرعد الآية ١.

اللغة السريانية والقرآن الكريم

يقول سهيل قاشا: «فهناك العديد من المفردات، والألفاظ السريانية مبثوثة في سور القرآن، وآياته»[1].

فعن هذا الكلام نقول:

أولاً: لو سلمنا بوجود الألفاظ الدخيلة فإن كان المراد بذلك (الاسماء) فإن أسماء الأشخاص، وبالخصوص أسماء الأنبياء عليهم السلام وكذلك أسماء الأماكن، وأسماء بعض الأشياء وما يشاكلها قد ذكرها القرآن الكريم ـ عند تعرضه لها ـ بمسمياتها الأصلية، وهذا هو الصواب، ومسلك العقلاء، بل مسلك البشرية جمعاء، فهل يصح مثلاً أن ننادي شخصاً ما اسمه (س) بـ(ما يدل عليه معنى الاسم عند المنادي)، أكيد لن يسمعنا، بل لن يفهم، ولن يعرف بأنه هو المنادى، فإذا كان مسلك العقلاء هو إبقاء الأشياء على مسمياتها الأصلية ليتحصل منها الفهم، والتواصل، فكيف بالقرآن الكريم.

---

(١) القرآن بحث ودراسة، ص ٢٥٧.

ثانياً: إن الأسماء المذكورة في القرآن الكريم بالأصل مأخوذة من ألفاظ عربية أصيلة فـ(آدم) أسم عربي مشتق من (الأدمة) وهي السمرة، لأنه خُلق من أديم الأرض، وكذلك باقي الأسماء، أما أسماء الملائكة المختومة بلفظ (إيل) فإن هذا اللفظ، أو هذا المقطع عربي أيضاً، لكنه مما قل استعماله عند عرب الحجاز، وإن كان باقياً عند غيرهم ولم يندثر.

قال ابن دريد[١]: «قال ابن الكلبي: كل اسم في العرب آخره إل أو إيل فهو مضاف إلى الله عز وجل نحو: شرحبيل، وعبد ياليل، وشراحيل، وشهميل، وما أشبه هذا... وقد كانت العرب ربما تجيء بالال في معنى اسم الله جل وعز»[٢].

فـ «الأصل السامي للغات هو الأصل العربي، وأن اللغة العربية هي الأولى في اللغات السامية قدماً على فرض وجود السامية في اللغات»[٣].

ثالثاً: الآيات القرآنية التي صرحت بعربية كل ما في القرآن الكريم.

قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ * نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ * عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ (سورة الشعراء، الآيات ١٩٢ ـ ١٩٥).

---

(١) ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن (ت٣٢١هـ).

(٢) جمهرة اللغة، ج ١، ص ٥٩.

(٣) دعوى اقتراض الألفاظ من غير العربية في القرآن الكريم، محمد حسين الصغير، مجلة المصباح، العدد ١٣، ص ١٩.

وقال تعالى: ﴿ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ (سورة الزمر، الآية ٢٨).

وقال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (سورة يوسف، الآية ٢).

فهناك طائفة كبيرة من علماء المسلمين تذهب إلى عدم وقوع أي لفظ غير عربي في القرآن الكريم منهم: الشافعي[١]، والطبري[٢]، وابن فارس[٣]،

---

(١) أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع القرشي الشافعي الحجازي المكي المصري (١٥٠ ـ ٢٠٤ هـ) (٧٦٧ ـ ٨٢٠ ميلادي) إمام و مؤسس المذهب الشافعي أحد المذاهب السنية الرئيسية، ولد في غزة و نشأ في مكة و لازم مالك بن أنس في المدينة و درس عليه، توفي في مصر و قبره معروف في القاهرة بسفح جبل المقطم له تصانيف كثيرة أشهرها: (الأم، المسند، السنن، الرسالة).

(٢) أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير الطبري (٢٢٤ ــ ٣١٠ هـ) ولد بآمل طبرستان، ذُكر أنه حفظ القرآن و هو أبن سبع سنين، فقد كان شديد الحفظ، سريع الفهم، رحل إلى الري و ما جاورها من البلاد و هو أبن أثني عشر عاماً في طلب العلم والمعرفة، ثم سافر إلى بغداد و البصرة و الكوفة، ثم رجع إلى بغداد و أخذ عن أئمة الشافعية و أتخذ الشافعية مذهباً و أفتى به عشر سنين، ثم رحل نحو الشام و بيروت ثم مصر فبلغها سنة (٢٥٣ هـ)، ثم رجع إلى بغداد حتى توفي فيها سنة (٣١٠ هـ)، له من المؤلفات: (آداب المناسك، آداب النفوس، اختلاف علماء الأمصار، تاريخ الرسل والملوك، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الجامع في القراءات، كتاب الوقف).

(٣) ابو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي (ت ٣٩٥ هـ) لغوي و أديب.

والباقلاني[١]، وأبو عبيدة[٢]، وابن فارس[٣]، وكذلك الشيخ المفيد[٤]، والسيد المرتضى.

و شاهد هؤلاء العلماء على عربية القرآن الخالصة قوله تعالى: ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ (سورة يوسف، الآية ٢).

و غيرها من الآيات القرآنية المباركة. كما ويشير فريق منهم بأن ألفاظ القرآن الكريم عربية صرفة ولكن ربما غابت بعض معانيها أو بعض أصولها عن بعض العلماء.

---

(١) الباقلاني (ت ٤٠٢ هـ).

(٢) معمر بن المثنى البصري (١١٠ ـ ٢٠٩ هـ).

(٣) ابن فارس (ت ٣٩٥ هـ).

(٤) أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان بن عبد السلام العكبري البغدادي (٣٣٦ ـ ٤١٣هـ)، شيخ المشايخ، و رئيس رؤساء الملة، فخر الشيعة و محيي الشريعة، المعروف بابن المعلم، كان والده من أهل واسط، و كان يعمل بها معلماً، ثم انتقل إلى عكبراء و أقام فيها بمكان يدعى سويقة ابن البصري، و هناك ولد الشيخ أبو عبد الله المفيد في الحادي عشر من ذي القعدة عام (٣٣٦ هـ)، و توفي رحمه الله ليلة الثالث من شهر رمضان ببغداد سنة (٤١٣ هـ) و صلى عليه الشريف المرتضى بميدان الأشنان و دفن في داره سنين و نقل إلى مقابر قريش بالقرب من مرقد الإمامين الجوادين عليهما السلام في الكاظمية، من مؤلفاته: (المقنعة في الفقه، أحكام أهل الجمل، الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، أمالي المفيد، أوائل المقالات، الاختصاص،...).

قال أبو عبيدة[١]: «إنما أنزل القرآن بلسان عربي مبين، فمن زعم أن فيه غير العربية فقد أعظم القول»[٢].

يقول الدكتور محمد حسين الصغير: «إن ما ادَّعوا وروده في القرآن من ألفاظ غير عربية اقترضتها اللغة العربية، ثم استعملها القرآن العظيم تبقى بها حاجة ماسة إلى التفسير والتعليل والتاريخية الصادقة في الأقل»[٣].

ثم يقول سهيل قاشا مدعياً عالمية اللغة السريانية: «إلى السريان يعود الفضل على جميع الأمم الراقية باستنباطهم صناعة الكتابة التي عنهم أخذها سائر الأمم حتى اليونان»[٤].

نقول: ليست السريانية لغة عالمية، بل هي لغة خاصة، وقوله المتقدم مجرد مدعى، أو لنقل نظرية حالها حال كثير من النظريات في أصل نشوء الكتابة، وقضية تحديد أقدم اللغات والخطوط، وما هي أقدم اللغات الإنسانية، لكن لو طالعناها ـ أي النظريات ـ بمجملها لم نجد لما ذكره أي وجود وسط تلك النظريات الكثيرة والمتعددة، وإن ما ذكره ما هو إلا قول شاذ لا وجود له إلا في سراديب الأديرة القديمة.

---

(١) ابو عبيدة، معمر بن المثنى التيمي (١١٠ ـ ٢٠٩ هـ) لغوي و أديب من أهل البصرة.

(٢) البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ج ١، ص ٢٨٧.

(٣) دعوى اقتراض الألفاظ من غير العربية في القرآن الكريم، محمد حسين الصغير، مجلة المصباح، العدد ١٣، ص ١٩.

(٤) القرآن بحث ودراسة، ص ٢١٥.

وهذه النظرية هي نظرية سريانية، هدفها إضفاء شرعية على اللغة السريانية، وإليها توجه إشكالات وأسئلة كثيرة، منها:

١ـ ما الدليل على أن الانجيل الأول هو باللغة السريانية؟

٢ـ هل هذه اللغة أخذت شرفيتها من كونها لغة الإنجيل ـ لو سلمنا بذلك ـ؟ أو أن شرفيتها ذاتية؟

٣ـ هل كانت اللغة السريانية في ذلك الوقت ـ قبل وإبان ظهور الدين المسيحي ـ لغة عالمية؟ وهل إنها لغة الرقي والمعرفة؟ أم أن اليونانية هي لغة الرقي في ذلك الوقت؟

٤ـ هل السـريان موغلون بالقدم بحيث أنهم أقدم من الحضارة السومرية، والبابلية، واليونانية؟ وهل هم أصحاب حضارة شاخصة وظاهرة للعيان؟ وهل لهم أمم وشعوب ودول؟ وبماذا كانوا يدينون قبل قدوم السيد المسيح وقبل دين اليهودية؟ وهل كانت هذه هي لغتهم منذ الخلق الأول أم تغيرت وتبدلت؟

في الحقيقة: هذه تساؤلات نتمنى من سهيل قاشا وغيره ممن يؤمنون بمثل هكذا تقولات أن يجيبونا عنها بكل صراحة وعقلانية.

ثم يردف سهيل قاشا قائلاً: «وننبه القارئ الأريب إلى أن السـريان باستنباطهم الكتابة، والنقاط، والحركات قد ضبطوا لغتهم وأتقنوها، وأحكموها بخلاف العرب الذين بقيت لغتهم إلى القرن السابع مضعضعة مشتتة في

قبائل، حتى أن القبيلة الواحدة لم تكن تفهم لهجة القبيلة الأخرى. ولما جاء القرآن نهضوا نهضتهم واستعانوا بالسريان جيرانهم، وإذا شئت فقل أساتذتهم ليضبطوا لغتهم، ويتقنونها كما ضبطها السريان من قبلهم»[١].

نقول لسهيل قاشا: ما الأدلة على ذلك، ومن أين جئت بهذه المفتريات، والتخرصات، وعلى أي المصادر اعتمدت؟!

تارة يقول: نهضوا لما جاء القرآن[٢]، وتارة يقول: علمهم السريان ذلك بطلب من أمير العرب[٣]، فالتهافت واضح جداً في كلماته، وعباراته غير المتناسقة، وغير المضبوطة تاريخياً.

فإذا كان العرب قد نهضوا نهضتهم، فلماذا يستعينون بغيرهم من سريان وما شاكل ذلك، فالنهضة مغايرة لأخذ العون من الغير، بل أن الغير هو الذي يأخذ ممن حصل على النهضة!!

وإذا كانت النهضة قد جاءت بسبب القرآن، فذلك يكفي، فالقرآن يكفيهم، ولن يحتاجون إلى ما دونه، فلماذا يتنزلون للأخذ من ثقافات ولغات مغايرة للغة القرآن، ومغايرة لما به من نهضة ورُقيّ؟!

---

(١) القرآن بحث ودراسة، ص ٢١٦.

(٢) م. ن، ص ٢١٦.

(٣) القرآن بحث ودراسة، ص ٢٤٠ ـ ٢٤١.

وهذه دعوى ادعاها قبله (يوسف درة الحداد)[١] و(أبو موسى الحريري)[٢] فقد ادعو وقالو: «بأن هجرة النصارى إلى الحجاز أدت إلى النهضة هناك. وهذا كلام مختلق! فهم دخلوا الحجاز بعد تشتتهم من فلسطين الذي تم قبل عصر بني هاشم المتحضر بخمسة قرون. فهل بلغ بطء نشرهم لأسس الحضارة أن مضت قرون خمسة قبل ظهور آثار التحضر؟ أليس الأرجح أن تحضرهم لم يكن له ذلك الوزن الذي يجعلهم قادرين على تحضير أحد؟ ألم يكن اليهود بدواً رحلاً يسطون على البلاد حيث اللبن والعسل ويبيدون السكان على بكرة أبيهم، ويقلعون الزرع، ويطمرون الآبار كما هو موثق في صلب توراتهم؟ إن الأمر الثابت هو أن قصياً أسس البناء الإداري والأمني في مكة، وتابع ابنه التنظيم، ثم تبعه حفيده، ثم ابن حفيده. هؤلاء هم الذين اتصلوا بالقوى العالمية في بلاد الروم، والفرس، والحبشة، واليمن وعقدوا معها أحلاف الأمن (الإيلافات). هم الذين نظموا حلف الفضول الذي أَمن به كل مواطن من الظلم والأذى سواء أكان مقيماً أم حاجاً أم ماراً مرور الكرام. وهم الذين أطعموا الجائع، والفقراء من الحجيج، وفي عهودهم نهضت حضارة اللغة العربية إلى أعلى المستويات، وتنظمت الرحلات التجارية الآمنة والأسواق الفكرية مثل عكاظ وغيرها»[٣].

---

(١) في كتابه (القرآن دعوة نصرانية).

(٢) في كتابه (قس ونبي).

(٣) القرآن ليس دعوة نصرانية، سامي عصاصة، ص ١٤٦ ـ ١٤٧.

و سهيل قاشا يسترسل بمدعاه إذ يقول: «وتأييداً لكلامنا عن تأثير اللسان السرياني على كتابة اللغة العربية وضبطها رأينا أن نثبت ذلك بأربع حجج تاريخية صادقة لا تحتمل الاعتراض وهي:

١ـ انتشار السريان في بلاد العرب قبل الإسلام وبعده.

٢ـ نوابغ السريان في اللغة اليونانية وتضلعهم منها.

٣ـ ترجمة تصانيف اليونان إلى العربية بقلم أئمة السريان.

٤ـ تأليف السريان في اللغة العربية»[١].

كلها أدلة ـ إن صح إطلاق كلمة أدلة عليها ـ مردودة لا تؤيد أي مدعى من مدعيات سهيل قاشا سالفة الذكر:

فالقول الأول مردود لأن هناك أمم وشعوب كثيرة غيرهم، فلماذا انحصر التأثير والتأثر بالسريان فقط دون غيرهم؟

والقول الثاني مردود لأنه خاص بنبوغهم باللغة اليونانية ولا دخل لنا بها، وليس لها أي ارتباط بموضوعنا الخاص باللغة العربية لغة القرآن الكريم.

والقول الثالث مردود لأن هذه الترجمات حصلت في زمن المأمون العباسي[٢]، واختصت بالفلسفة، والطب بشكل عام.

---

(١) القرآن بحث ودراسة، سهيل قاشا، ص ٢٢٠.

(٢) المأمون العباسي، عبد الله بن هارون العباسي (١٧٠ ـ ٢١٨ هـ).

ولقد جاء نقل الكتب الفلسفية عن السريانية واليونانية إلى العربية في مستهل القرن الثالث الهجري، إبان خلافة المأمون العباسي، وعن الأسباب والدوافع لذلك يقول السيد محمد الخامنئي: «حول أسباب ومحفزات ما يسمى بنهضة الترجمة في زمن العباسيين طرحت بعض الآراء والتصورات، لكننا لو أردنا التبصر بالمحفزات الداخلية والعميقة لها لوجدنا أن أحد عواملها ودوافعها المهمة هو مواجهة الخلفاء العباسيين لأهل البيت عليهم السلام... المحفز الآخر الذي ساعد ذلك العامل السياسي الأول هو الأهداف التي كان يرمي إليها المترجمون المسيحيون الذين وجدوا هذا المشروع مفيداً لمواجهة الإسلام والنيل من محورية القرآن والكلام الشيعي، وليس من قبيل الصدفة أن أغلب هؤلاء المترجمين رجال دين نصارى»[١].

والقول الرابع مردود لأن ذلك من شأنهم، ولأنهم سكنوا بلاد العرب، بل هم مجبرون على ذلك لأن لغتهم تمثل لغة أقلية داخل بلاد العرب.

وإننا نجد آراء العلماء، والمختصين، من المسلمين، وغيرهم تقول: إن الكثير من الكلمات والعبارات والمصطلحات المستخدمة اليوم في بلاد الغرب وأوربا أصلها عربي، وللمزيد من الاطلاع وللتأكد يمكن مراجعة كتاب (شمس العرب تسطع على الغرب)[٢] لـ (زيغريد هونكة)[٣]، وكتاب (فضل

(١) مسار الفلسفة في إيران والعالم، محمد الخامنئي، ص ٢٢٢.

(٢) شمس العرب تسطع على الغرب، ص ١٧ ـ ٣٠.

(٣) زيغرد أو زيغريد هونكة (١٩١٣ ـ ١٩٩٩ م) مستشرقة ألمانية.

الإسلام على الحضارة الغربية)[١] لـ (مونتغمري وات)[٢]، وغيرها من الكتب الأُخر التي أشارت إلى ذلك الأمر المهم.

ثم نجد أن سهيل قاشا وفوق كل ذلك يتهم المسلمين بالجهل إذ يقول: «على أن جهل المسلمين في أول عهدهم أمر التعليم والتأليف والتدوين ألجأ عمر بن سعد أمير العرب أن يستدعي إليه يوحنا بطريرك السريان اليعاقبة (+ ١٦٣ ـ ٦٤٩) ويكلفه نقل الإنجيل من اللسان السرياني إلى اللسان العربي»[٣].

فمن هو أمير العرب هذا المسمى (عمر بن سعد) والذي خفي علينا أمره، واسمه؟ وهل للعرب أمير بهذا الاسم لم تذكره كتب التاريخ العربي؟ ولم نعرف أخباره؟ فغاب عنا لنجده في كتاب سهيل قاشا المذكور؟!

في الحقيقة نحن لا نعرف إلا (عمر بن سعد)[٤] واحد هو ابن (سعد بن أبي وقاص)، فقد كان عمر بن سعد أحد قادة جيش يزيد بن معاوية، وهو قائد

---

(١) فضل الإسلام على الحضارة الغربية، ص ١١٥ ـ ١٢٥.

(٢) وليام مونتغمري وات أو (واط) (١٩٠٩ ـ ٢٠٠٦ م) مستشرق بريطاني من اصول اسكتلندية.

(٣) القرآن بحث ودراسة، ص ٢٤٠ ـ ٢٤١.

(٤) عمر بن سعد بن أبي وقاص مالك بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة القرشي قائد جيش عبيد الله ابن زياد والي العراق أيام حكم يزيد بن معاوية بن أبي سفيان الأموي، عمر بن سعد هو قائد الجيش الذي حارب الأمام الحسين بن علي بن أبي طالب (عليهم السلام)، و أمر أن تطأ الخيل صدر الحسين عليه السلام بعد استشهاده. أمر بجز رأسه الشريف، و رؤوس أهل بيته و أصحابه حتى الطفل الرضيع.

الجيش الذي حارب الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء يوم العاشر من المحرم سنة (٦١ هـ) وقد قتل عمر بن سعد في ثورة المختار الثقفي[1] يوم نهض للأخذ بثأر الإمام الحسين عليه السلام، ولا نعرف أحدا اشتهر بهذا الاسم غيره.

(١) المختار بن أبي عبيد بن مسعود بن عمرو بن عمير الثقفي (١ هـ ـــ ٦٧ هـ): الذي أخذ بثأر الأمام الحسين عليه السلام من قاتليه، قتله مصعب بن الزبير سنه (٦٧ هـ) مع أصحابه في مذبحة عظيمة طمعاً و حقداً، و من الاتهامات السخيفة التي وجهت للمختار هي: (ادعاؤه النبوة، أن له كرسي كتابوت بني إسرائيل، أنه كان يلتقي بجبرائيل، و أنه كيساني المذهب يقول بإمامة محمد بن الحنفية و أنه الأمام المهدي)، لكن الواقع غير ذلك، فلما سئل محمد بن الحنفية عن رأي الأمام زين العابدين عليه السلام بالمختار قال عليه السلام: (لو أن عبداً زنجياً تعصب لنا أهل البيت لوجب على الناس مؤازرته). و قال فيه الأمام الباقر عليه السلام: (لا تسبوا المختار فإنه قتل قتلتنا و طلب بثأرنا و زوج أراملنا و قسم المال فينا على العسرة). و قال الأمام الصادق عليه السلام: (ما امتشطت فينا هاشمية و لا اختضبت حتى بعث إلينا المختار برؤوس الذين قتلوا الحسين). و إن أكثر هذه الشبهات المثارة حول شخص المختار من صنع أعداء أهل البيت عليهم السلام، و أعداء المختار، و قد ردها علمائنا و منهم أبن نما الحلي، و السيد الخوئي رحمه الله في معجم رجال الحديث.

كتابات تجميعية بلا أي دليل

يقول سهيل قاشا بعد طرح نظريته حول الحروف المقطعة: «بعد هذه الجولة الطريفة في محيط فواتح السور القرآنية، بقارب سرياني صغير، ومجاذيف البحث الرصين، وسارية التحقيق الأمين، بربان العلم اليقين، رسا قاربنا في ميناء السلام، على بر الأمان، وكان الفرج بعد الضيق»[1].

لا أدري أي ضيق، وأي فرج يتحدّث عنه سهيل قاشا، وكأنه فَتَحَ روما؟؟!! فهل هو فرح بالآراء التي انتحلها عن الآخرين، أم بالافتراءات التي أطلقها بلا أدنى دليل؟ وهل أنه وصل إلى ما لم يصل إليه غيره؟

إن كتابات سهيل قاشا من نوع (الكتابات التجميعية)، ولسائل أن يسأل ما (الكتابات التجميعة) وما المقصود منها؟

للجواب عن ذلك نقول: إن المراد بـ(الكتابات التجميعية) هي الكتابات التي يجمعها أشخاص متعددون يعملون تحت إمرة شخص ما، ومن ثم تُنسق

---

(١) القرآن بحث و دراسة، سهيل قاشا، ص ٢٧٣.

وتُرتب، وتُطبع وتُنشـر باسم ذلك الشخص الآمر. طبعاً هو لا يعلم من أين جاء العاملون بمعلوماتهم، وهل انهم سرقوها، أم انها من عندياتهم، المهم هو أن يطبع الكتاب باسـمه دون الالتفات الى قضايا الأمانة العلمية، وإلى أخلاقيات الكتابة.

وقد طبعت ضمن سياق الكتابات التجميعية كُتب ومؤلفات لها غايات وأهداف تدميرية وتحريضية، هدفها إثارة المشاكل وتأجيج الفتن هذا من جانب.

ومن جانب آخر سُرِقت في سياق هذه الكتابات أفكار وجهود كتاب ومؤلفين بصورة مباشرة أو غير مباشرة. ولو بُسط الكلام لتَحدَثت عن ذلك مطولاً مع ذكر الأدلة الكثيرة على ذلك، لكن وبما أن ذلك ليس مبتغانا سنتركه ونطوي عنه كشحاً.

المهم: فسهيل قاشا أيضاً لديه مؤسسة، فهو يعطي الفكرة، أو يتكلم بموضوع ما بشكل مختصر، ومن ثم تقوم هذه المؤسسة بتحويل هذا الكلام المختصر إلى كِتاب، ومؤَلف يُطبع باسمه.

استنتاجات سهيل قاشا حول الحروف المقطعة

يسوق سهيل قاشا استنتاجاته التي يعتبرها حقيقة مطلقة، وعلم يقيني ـ بحسب تعبيره[1] ـ وهذه الاستنتاجات هي كالآتي:

الاستنتاج الأول: (إنها جمل سريانية مختزلة):

١ـ «هناك رابطة معنوية قوية بين الحروف الهجائية المرصوفة ـ كفواتح لتسع وعشرين سورة قرآنية ـ رصفاً متيناً مدروساً، من كاتب حاذق نحرير، وبين الجمل السريانية التي اختزلت بهذه الطريقة المهذبة والدقيقة، والتي صارت في ما بعد هي الإعجاز والمعجزة، بها يتباهى المسلمون ويفتخرون، ويتحدون بحدها المشركين، أن يأتي بمثل محكم سور القرآن الكريم»[2].

الرد عليه:

هنا يريد سهيل قاشا إثارة موضوع (مصدر القرآن)، والتشكيك بأنه ليس

---

(١) القرآن بحث و دراسة، ص ٢٧٣.

(٢) م. ن، ص ٢٧٣ ـ ٢٧٤.

من عند الله سبحانه وتعالى، كما وانه يريد أن يشكك بنبوة النبي محمد ﷺ، وإثبات أنه ﷺ لا يعرف القراءة ولا الكتابة، وإن ورقة بن نوفل، أو زيد بن ثابت[١]، أو عبدالله بن أبي سرح[٢]، وغيرهم من كُتاب النبي ﷺ قد أضافوا إلى القرآن إضافات كثيرة، ورتبوه بهذه الصورة التي هو عليها الآن، كل ذلك ليثبت تحريف القرآن الكريم.

إن دعوات التشكيك بالقرآن، وكونه مكتسب من مصادر أخر، وادعاءات بشرية النص القرآني[٣] ما هي إلا «ثقافة إلغاء كل مقدس، وإشاعة الفوضى النصية في فضاء ملوث، يتسنى فيه لكل قاصر ومقصر دعوى النبوة لنفسه، والاستغناء عن الإسلام الخالد»[٤].

يقول المستشرق البريطاني (مونتغمري وات)[٥]: «وإذا لم يكن محمد هو

---

(١) زيد بن ثابت (١١ ـ ٤٥ هـ).

(٢) عبد الله بن سعد بن أبي سرح بن الحارث بن حبيب بن جذيمة القرشي، أسلم قبل الفتح، ثم ارتد وبدأ يهجو النبي ﷺ ويستهزأ به وبالقرآن، فأهدر النبي ﷺ دمه، فجاء به عثمان بن عفان رغم ذلك طالباً للعفو معارضاً لله تعالى ولرسوله ﷺ، مات عبد الله هذا سنة (٣٧ هـ).

(٣) فلقد زعم المشركون أن الرسول ﷺ ﴿إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ﴾ سورة النحل، الآية (١٠٣). فجعل بعض الرهبان و المستشرقون من هذا البشر هو (بحيرى الراهب).

(٤) دعوى بشرية القرآن، محمد الربيعي، ص ٢١، مقدمة الشيخ طلال الحسن.

(٥) وليام مونتغمري واط أو وات (١٩٠٩ ـ ٢٠٠٦ م).

الذي رتب القرآن بناءً على وحي نزل عليه، فمن الصعب أن نتصور أن زيد بن ثابت، أو أي مسلم آخر يقوم بهذا العمل. ومن هنا فإن كثيراً من السور قد اتخذت شكلها الذي هي عليه منذ أيام محمد نفسه. إن القرآن كان يُسجل فور نزوله، ولقد تبوأ القرآن دائماً ـ في حياة المجتمع الإسلامي ـ مكان المركز، أو القطب، أو المحور، وصنع نسيج الحياة الإسلامية، والنظرة العقلية للعالم والكون»[١].

وعن العياشي[٢]، عن زرارة قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن القرآن، فقال لي: «كلام الخالق»[٣].

نعم، فهو كلام الله تعالى، لم ولن يحرف، وهذا هو مصداق قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (سورة الحجر، الآية ٩).

الاستنتاج الثاني: (التأثير السرياني مرة أخرى):

٢ـ «من يستطيع أن يأتي بهذا التنظيم والضبط المتقنين إلا كاتب سرياني أمين، يعرف كل المعاني والتعابير مع طرق الاختزال والتفسير؟ أليس زيد بن ثابت قد تعلم السريانية بثلاثة أشهر، ومن ثم صار كاتباً للتنزيل المحمدي، ومن ثم لجمع القرآن الإسلامي وترتيبه؟؟»[٤].

---

(١) الإسلام والمسيحية في العالم المعاصر، مونتغمري واط، ص ٨٣.

(٢) أبو النضر السمرقندي العياشي (ت ٣٢٠هـ).

(٣) تفسير العياشي، ج ١، ص ٦.

(٤) القرآن بحث و دراسة، ص ٢٧٤.

الرد عليه:

نرى بأن سهيل قاشا يريد إلصاق التحريف بزيد بن ثابت، وبعثمان بن عفان، وبغيرهم ممن يعزى إليه كتابة القرآن، أو جمعه، أو ترتيبه.

وقد ردّ السيد الخوئي ﷺ دعوى التحريف المنسوبة للشيخين[١]، أو لعثمان بن عفان[٢]، أو لغيرهم[٣] جملة وتفصيلًا[٤].

و قول سهيل قاشا هذا قد ذكره المستشرق (جولدتسيهر)[٥] قبله إذ يقول: إن الشيعة يعتقدون بأن في المصحف العثماني زيادات وإضافات وتغييرات على أصل القرآن[٦].

ولابد أن يعلم الكل بأن القرآن الكريم قد تم جمعه في حياة النبي محمد ﷺ، ويؤيد ذلك آيات القرآن الكريم التي ذكرت ذلك[٧].

---

(١) البيان، ص ٢١٧.

(٢) القرآن بحث و دراسة، ص ٢١٨.

(٣) م. ن، ص ٢١٩.

(٤) كالتي أوردها على سبيل المثال: محمد عبد الله دراز في كتابه (مدخل إلى القرآن الكريم)، ص ٣٩. و غيرها من الدعوات المشابهة لغيره من كتاب العامة، و جمع من المستشرقين.

(٥) أينياس أو أجناتس غولدتسيهر أو غولتسيهر أو جولدتسيهر: مستشرق مجري يحمل الجنسية الألمانية (١٨٥٠ ـ ١٩٢١).

(٦) مذاهب التفسير الإسلامي، جولدتسيهر، ص ٢٩٣.

(٧) ومن أمثال ذلك: سورة الحجر الآية (٩)، وسورة النحل الآية (٨٩)، وسورة فصلت الآية (٤٢)، وغيرها الكثير.

كما وان الكتاب الذي خلفه رسول الله ﷺ في أمته هو الكتاب المجموع والمرتب، لا آيات متفرقة، إذ لا يمكن أن يطلق عليها كتاب[١].

كما قال ﷺ: «من ختم القرآن أدرجت النبوة بين جنبيه، ولكنه لا يوحى إليه»[٢].

فكيف يمكن أن يختم كتاب لم يجمع، ولولا أن القرآن الكريم مجموع ومرتب في عهده ﷺ لم يكن لختمه أي معنى.

و كذلك ما ورد من أحاديث أُخر منها ـ مثلاً ـ ما ورد في تفسير (القمي)[٣]، عن الإمام الصادق عليه السلام، عن رسول الله ﷺ أنه أمر علياً عليه السلام بجمع القرآن، وقال ﷺ: «يا علي القرآن خلف فراشي في المصحف والحرير والقراطيس فخذوه واجمعوه ولا تضيعوه كما ضيعت اليهود التوراة» فانطلق علي بن أبي طالب عليه السلام فجمعه في ثوب أصفر، ثم ختم عليه[٤].

يقول السيد الخوئي رحمه الله عن مسألة جمع القرآن الكريم: «الأخبار التي دلت على جمع القرآن في عهد أبي بكر بشهادة شاهدين من الصحابة، كلها

---

(١) يراجع لذلك المعاجم اللغوية، مفردة (كتاب).

(٢) الكافي، ج ٢، ص ٦٠٤، ح ٥.

(٣) علي بن إبراهيم القمي (ت ٣٢٩ هـ) راوي و فقيه و مفسر شيعي، توفي في مدينة قم و دفن فيها.

(٤) تفسير القمي، ج ٢، ص ٤٥١، تفسير سورة الناس، و البحار، ج ٨٩، ص ٤٨، باب ٧، ح ٧.

أخبار آحاد، لا تصلح أن تكون دليلاً في أمثال ذلك... إنها معارضة بأخبار كثيرة دلت على أن القرآن قد جُمع في عهد النبي ﷺ»[١].

كما أن روايات جمع القرآن بعد وفاة النبي ﷺ «معارضة بما دل على أن القرآن كان قد جمع، وكتب على عهد رسول الله ﷺ فقد روى جماعة منهم ابن أبي شيبة، وأحمد بن حنبل، والترمذي، والنسائي، وابن حبان، والحاكم، والبيهقي، والضياء المقدسي»[٢].

روى الطبراني[٣]، وابن عساكر[٤]، عن الشعبي قال: «جمع القرآن على عهد رسول الله ﷺ ستة من الأنصار: أُبي بن كعب، وزيد بن ثابت، ومعاذ بن جبل، وأبو الدرداء، وسعد بن عبيد، وأبو زيد، وكان مجمع بن جارية قد أخذه إلا سورتين أو ثلاث»[٥].

وأخرج النسائي[٦] بسند صحيح، عن عبد الله بن عمر قال: «جمعت القرآن فقرأت به كل ليلة، فبلغ النبي ﷺ فقال: أقرأه في شهر»[٧].

---

(١) البيان، السيد الخوئي، ص ٩٣.

(٢) م. ن، ص ٢٤٨.

(٣) سليمان بن أحمد اللخمي الشامي الطبراني (ت ٣٦٠ هـ)، من علماء الحديث.

(٤) ابو القاسم علي بن الحسين بن هبة الله بن عساكر الدمشقي (٤٩٩ ـ ٥٧١ هـ).

(٥) منتخب كنز العمال، ج ٢، ص ٤٨.

(٦) أبو عبد الرحمن، أحمد بن علي بن شعيب النسائي الخراساني (ت ٣٠٣ هـ) في مكة، له (السنن الكبرى و الصغرى).

(٧) الإتقان، ج١، ص ١٢٤.

لذا فإن «إسناد جمع القرآن إلى الخلفاء أمر موهوم، مخالف للكتاب، والسنة، والإجماع، والعقل»[١].

وقد روي عن زيد بن ثابت أنه قال: «كنت أكتب الوحي لرسول الله ﷺ، وكان إذا نزل عليه الوحي أخذته برحاء شديدة... فكنت أدخل عليه بقطعة الكتف أو كسرة، فأَكتُب وهو يملي عليّ، فإذا فرغت قال: أقرأه، فأقرؤه، فإن كان فيه سقط أقامه، ثم أخرج إلى الناس»[٢].

وعن ابن عباس[٣] قال: «إن رسول الله ﷺ كان إذا نزل عليه الشيء دعا من كان يكتب فيقول: ضعوا هذه الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا»[٤].

و عن علي بن رباح[٥] قال: «جَمَعَ القرآن على عهد رسول الله ﷺ علي

---

(١) البيان، ص ٢٥٦.

(٢) مجمع الزوائد، الهيتمي، ج١، ص ١٥٢.

(٣) عبد الله بن عباس بن عبد المطلب، ولد في الشعب قبل الهجرة بثلاث سنين، و توفي سنة (٦٨ هـ).

(٤) المستدرك على الصحيحين، الحاكم، ج ٢، ص ٢٢٢، و الجامع الصحيح، الترمذي، ج٥، ص ٢٧٢، و البرهان، الزركشي، ج١، ص ٣٠٤، و تفسير القرطبي، ج١، ص ٦٠، ومسند أحمد، ج ١، ص ٥٧ و ص٦٩.

(٥) علي بن رباح بن قصير بن قشيب اللخمي المصري، كانت وفاته عام (١١٤ هـ)، و قيل (١١٧ هـ).

بن أبي طالب وأُبي بن كعب»[١].

قال السيد المرتضى (علم الهدى): «إن القرآن كان على عهد رسول الله ﷺ مجموعاً، مؤلفاً على ما هو عليه الآن، واستُدل على ذلك بأن القرآن كان يدرس ويحفظ جميعه في ذلك الزمان، حتى عيّن على جماعة من الصحابة في حفظهم له، وأنه كان يعرض على النبي ﷺ ويتلى عليه، وأن جماعة من الصاحبة مثل عبد الله بن مسعود وأبي بن كعب وغيرهما ختموا القرآن على النبي ﷺ عدة ختمات، وكل ذلك يدل بأدنى تأمل على أنه كان مجموعاً مرتباً غير مبتور ولا مبثوث، وأن من خالف في ذلك من الإمامية والحشوية لا يعتد بخلافهم، فإن الخلاف في ذلك مضاف إلى قوم من أصحاب الحديث، نقلوا أخباراً ضعيفة، ظنوا صحتها، لا يرجع بمثلها عن المعلوم المقطوع على صحته»[٢].

فنجد أن النصوص الصحيحة والموثقة تدل على حصول الجمع للقرآن في حياة النبي ﷺ، بخلاف ما أثاره المشككون من أدلة واهية، وغير صحية لا سند لها.

نعم، إن «من السذاجة والتهكم إذا قلنا أن القرآن لم يجمع على عهد النبي ﷺ وترك أمره إلى المسلمين من بعده، وشأنه شأن الخلافة والإمامة

(١) تاريخ القرآن، الزنجاني، ص ٤٧.

(٢) مجمع البيان، الطبرسي، ج١، ص ١٥.

كما يدعي فريق من المسلمين، أنها موكولة إلى شورى المسلمين أو ما يتبع ذلك من تفاصيل في اختيار الحاكم. فالأدلة النقلية والعقلية ترفض هذا وذاك، فبما أن الحكومة لازمة والحاكمية تأخذ شرعيتها من المشرع. وأن ترك الرعية بلا راع أمر في غاية التفاهة والسخف، وهكذا شأن القرآن ـ الذي هو شريعة السماء وحجة الحاكم على المحكوم ـ لا يمكن لعاقل أن يتصور عدم جمعه أو عدم ترتيبه في حياة النبي ﷺ»[١].

فعن محمد بن سيرين[٢] انه قال: «قتل عمر ولم يجمع القرآن»[٣].

أما قضية تعلم زيد بن ثابت للسريانية فهو محض افتراء، لأن ما هو موجود في المنظومة الحديثية أنه كان يعرف العبرية، أو أنه قد تعلمها فيما بعد.

قال البخاري[٤] في صحيحه: «قال خارجة بن زيد بن ثابت عن زيد بن ثابت أن النبي ﷺ أمره أن يتعلم كتاب اليهود حتى كتبت للنبي ﷺ كتبه وأقرأته إذا كتبوا إليه»[٥].

---

(١) جمع القرآن، عبد الرسول الغفاري، ص ٢١.

(٢) ابو بكر، محمد بن سيرين البصري التابعي (ت ١١٠ هـ).

(٣) كنز العمال، المتقي الهندي، ج٢، ص ٥٧٤، و كذلك في طبقات ابن سعد.

(٤) البخاري هو: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن (بردزبه) أي الزراع، و كان جده (المغيرة) مجوسياً كأبيه، أسلم على يد اليمان البخاري الجعفي، لذلك قيل للبخاري جعفي، لأنه مولى يمان الجعفي، ولد سنة (١٩٤ هـ)، و توفي سنة (٢٥٦ هـ) دفن بخرتنك قرية على فرسخين من سمرقند.

(٥) صحيح البخاري، ج٨، ص ١٢٠.

«إن النبي ﷺ لم يكن يحتاج إلى كاتب بالعبرية، فاليهود الذين في الجزيرة كانوا يكتبون رسائلهم للعرب بالعربية! فلابد أن يكون هدف زيد من هذه الرواية تبرير معرفته باللغة العبرية وإجادته الكتابة بها، بأن ذلك كان بأمر النبي، ومن أجله ﷺ! وهو أمر يوجب المزيد من الشك في أصله! هذا بناء على عقيدة إخواننا السنة بالنبي ﷺ، أما نحن الشيعة فنعتقد أن النبي، أي نبي، وكذا الإمام، حجة الله تعالى على خلقه.. ومن أول شروط الحجة أن يعرف لغة المحتج عليه.. وبذلك صرحت أحاديثنا الصحيحة عن النبي وآله ﷺ بأن نبينا وأوصياءه يعرفون كل ما يحتاجون اليه من لغات الناس في عصرهم، ولا حاجة لهم إلى زيد وعمرو ليترجموا لهم»[١].

نعم، لا يمكن إنكار وجود بعض القبائل والتجمعات اليهودية في الجزيرة العربية، وبالخصوص حين بعثة النبي ﷺ، وهذا أمر مسلم تاريخياً، قد ذكرته كتب المسلمين قبل غيرها، أما كون النبي ﷺ قد نقل عنهم شيئاً مما في القرآن الكريم أو غيره من تعاليم الإسلام، فهذا أمر لا يمكن إثباته بطريقة علمية، بل على العكس من ذلك، إذ أن جميع الحقائق التاريخية تؤكد عدم صحة مثل هكذا مختلقات.

فاليهود الموجودون في الجزيرة العربية آنذاك لم يكونوا على ثقافة واسعة في الدين، وليسوا على جانب من المعرفة لتؤهلهم لمثل هذا الدور المزعوم،

(١) تدوين القرآن، علي الكوراني، ص ٢٨٧.

بل أن مستواهم الثقافي كان متدنياً إلى حدٍ بعيد.

و القرآن الكريم، وفي آياته المباركة كان من أكبر المنتقدين لهم، والمعرفين بمستواهم المتدني في جميع المجالات.

كما ونجد أن (ابن خلدون)[١] وفي تاريخه يقول: «وأهل التوراة الذين بين العرب يومئذ بادية مثلهم ولا يعرفون من ذلك إلا ما تعرفه العامة من أهل الكتاب، ومعظمهم من حِمير الذين أخذوا بدين اليهودية...»[٢].

بل نجد أن جملة من مؤرخي اليهود ـ أنفسهم ـ يرون أن يهود الجزيرة العربية كانوا في معزلٍ عن بقية أبناء دينهم، وأن اليهود الآخرين لم يكونوا يرون أنهم مثلهم في العقيدة، لأنهم لم يحافظوا على الشرائع الموسوية، ولم يخضعوا لأحكام التلمود[٣] -[٤].

بل نجد البعض قال عنهم بأنهم عرب متهودون، وليسوا باليهود الحقيقيين[٥].

---

(١) ابن خلدون (٧٣٢ ـ ٨٠٨ هـ) عبد الرحمن بن محمد بن خلدون ابو زيد الأشبيلي الأفريقي.

(٢) تاريخ ابن خلدون، ج١، ص ٥٥١، المقدمة.

(٣) نقلاً عن: تاريخ اليهود في بلاد العرب، إسرائيل ولفنسون، ص ١٣.

(٤) التلمود: كلمة عبرية تعني الدراسة، و هو كتاب تعليم الديانة اليهودية، و هو مركب من عنصرين: الميشناه و هي النسخة الأولى المكتوبة من الشريعة اليهودية التي تتناقل شفوياً. و الجمارا و هذا القسم من التلمود يتناول الميشناه بالبحث و الدراسة. و التلمود مؤلف جمعت فيه قصص و مناقشات حاخامت اليهود جمعوها و اصبحت كتاب ديني.

(٥) كالمستشرق الألماني كاسكيل (ت ١٩٧٠ م).

الاستنتاج الثالث: (الإدعاء بعدم تحريف الإنجيل):

٣ـ «أتى قسم من هذه الحروف (الجمل) تأكيداً وتصريحاً على سلامة الإنجيل وعدم تحريفه أو انتحاله، إنما هو الحق المبين، والكتاب العزيز الحكيم»[١].

الرد عليه:

وهذا مدعى يحتاج إلى دليل قاطع عليه، ولذلك سيبقى مجرد مدعى، وسهيل قاشا هنا يتبنى رأي جملة من المستشرقين، ومنهم المستشرق (تسدال) الذي يثبت أحقية الإنجيل من خلال كونه أحد المصادر التي أخذ منها القرآن[٢]، وما قال به المستشرق (أف بول) الذي يتبنى القول بعدم تحريف العهدين، وأنهما ما زالا كما أنزلا[٣]، وآراء وأقوال أُخر تحتاج أدلة لإثباتها.

نقول: أن الذي عند المسيحيين (أناجيل) وليس إنجيل واحد، والقدر المتيقن حالياً هو وجود (أربعة) أناجيل، فمن المقصود منها يا ترى؟

كما وأنها متعددة وذلك دليل على الاختلاف فيما بينها، فمن تريدون منها؟ ومن هو المقدم منها؟ ومن هو الصحيح؟ وبأيها نثق؟

---

(١) المصدر السابق، ص ٢٧٤.

(٢) آراء المستشرقين حول القرآن الكريم، ج ١، ص ٢٩٠ ـ ١٩٦.

(٣) دائرة المعارف الإسلامية، طبعة لندن، ج ٤، ص ٦٠٢، مقالة: (التحريف).

وهنا سنورد نصاً أخذناه من كتاب (تاريخ القرآن) لـ(تيودور نولدكه)، ومن ثم سنبين حقيقة، وماهية، وهدف هذا المدعى المذكور لسهيل قاشا ولغيره.

يقول النص وتحت عنوان (القرآن المحمدي في علاقته بالكتب المقدسة المسيحية، اليهودية): «إن الدين اليهودي لم تؤسسه شخصية واحدة، بل تطور على مر العصور تدريجاً من مرحلة تمهيدية قديمة، هي الديانة الإسرائيلية، وقد تم رفع كتابات دينية مهمة نشأت في حقب هذا التطور المختلفة إلى مرتبة طقوسية رفيعة على مدى ما يناهز الخمسمئة سنة. هكذا أستمر التطور التاريخي حياً في الذاكرة إلى درجة أن أجزاء الكتاب المقدس المختلفة ـ الناموس والأنبياء والكتب التاريخية ـ احتفظت بترتيبها طبقاً لزمن نشوئها، ولم تجعل اليهودية منها وحدة موحدة.

أما تأسيس المسيحية فقد أنطلق من شخص واحد، لكن يسوع لا يمكن أن يوصف بأنه مؤسسها، ففي الجماعة المسيانية التي تشكلت بعد موته صار المسيح هو موضوع الدين، ونظراً إلى أن يسوع لم يترك كتابات موحاة ولا من نوع آخر، لم يكن للمسيحية الحديثة، أولاً، كتاب مقدس، بل كان عليها أن تكتفي بكتب المجمع اليهودي الذي ولدت في حضنه، ولم ينجز العهد الجديد المؤلف من كتابات مسيحية متعددة النوع نشأت في أوقات مختلفة إلا في نهاية القرن الرابع في الغرب، وقد طالت مدة هذه العملية في الكنيسة الشرقية إلى ما بعد ذلك الموعد، عقب ذلك نشأت في المسيحية عادة اعتبار

الكتب اليهودية المقدسة الثلاثية الأجزاء وحدة موحدة، ووضعت تحت اسم (العهد القديم) مقارنة لها بالعهد الجديد.

أما الكتاب المقدس المحمدي فنشأ بطريقة مختلفة، لا بل معاكسة تماماً. فهو ليس عمل كُتاب عديدين، بل عمل رجل واحد، وقد نشأ في خلال الفترة القصيرة التي يمكن لإنسان أن يعيشها. وأنجز القرآن الحالي من بعد سنتين أو ثلاث من وفاة محمد. فمصحف عثمان ليس إلا نسخة عن مصحف حفصة الذي جُمع أثناء خلافة أبي بكر، أو أثناء خلافة عمر على أبعد حد. وربما اقتصر العمل آنذاك على ضم السور وترتيبها. أما الآيات فيجوز لنا أن نثق بأن نصها نُقل إجمالاً كما وجد في تركةِ النبي. يضاف إلى هذه الاختلافات الجسيمة، في ما يتعلق بكيفية نشوء الكتب المقدسة، اختلاف شكلها الأدبي أيضاً. فالكتب المقدسة اليهودية والمسيحية هي من صنع الإنسان، بالرغم من أن التصور ساد في وقت مبكر بأن الروح القدس ألهم كتّاب أسفار الكتاب المقدس ما كتبوه (رسالة بطرس الثانية ١: ٢١). لكن كلام الله الفعلي لا يوجد في هذه الكتب إلا حيث يتحدث الله نفسه إلى الأنبياء، أو أتقياء أُخر مختارين. أما القرآن فيختلف عنها اختلافاً تاماً. فبالرغم من أن محمداً هو موضوعياً وفعلياً مؤلف الآيات والسور الموضوعة في هذا الكتاب، فهو لا يعتبر نفسه صاحبها بل الناطق باسم الله، والمبلغ كلامه وإرادته. لهذا السبب لا يتكلم في القرآن إلا الله، والله وحده»[١].

(١) تاريخ القرآن، نولدكه، ص ٣٤٢ ـ ٣٤٣.

ولابد أن نذكر سهيل قاشا وغيره بمعلومة مهمة ومفيدة وحقيقية في نفس الوقت، وهي: إن المسيحية الحالية أسسها بالأصل (شاؤول) على حساب نبي الله عيسى عليه السلام، فشاؤول الذي سمي فيما بعد بـ (بولس) هو في الحقيقة مؤسس هذه المسيحية، والتي لا تمت إلى نبي الله عيسى عليه السلام بأي صلة سوى بالانتساب غير الشرعي.

بدأ (شاؤول) أو المسمى بـ (بولس) ديانته في أنطاكية حيث نشأ لأول مرة التعبير الشهير (*christian*) أي الانتساب لدين المسيح، فلم تظهر هذه الكلمة إلا في القرن الثالث الميلادي في المجلس الذي عُقد بمدينة (نيس).

أما كتاب العهد الجديد فهو مكون من رسائل بولس إلى الجماعات التي استجابت لدعوته، ومن تعاليم الأناجيل الأربعة التي تُنسب إلى أربعة من الحواريين. وفي الحقيقة أن هذه الأناجيل قد كُتبت بعد نبي الله عيسى عليه السلام بجيل أو جيلين أو أكثر بكثير، وقد كتبت باللغة اليونانية بخلاف لغة نبي الله عيسى عليه السلام وهي الآرامية. ويعد أقدم انجيل وبحسب المدعى هو (انجيل مرقص) والذي كتب سنة (٦٥م) ويليه (انجيل يوحنا) كتب سنة (١٠٠م).

ولابد أن نعلم بأن الفكرة عن المسيح والمسيحية تختلف في نظر المسيحين باختلاف الجماعات التي ينتسبون لها، وباختلاف الزمان، بل وحتى المكان.

ولو رجعنا إلى شخصية (شاؤول) أو (بولس) هذا وبحسب وصف تلميذه (لوقا) لوجدناه ـ أي شاؤول ـ يهودياً مائة بالمائة، ومحارب للديانة المسيحية.

يقول لوقا في أعمال الرسل: «وكان شاؤول راضياً بقتل المسيحيين، وكان يسطو على الكنيسة، ويدخل البيوت، ويجر رجالاً ونساءً، ويسلمهم إلى السجن»[١].

ويقول أيضاً: «ولم يزل ينفث تهديداً، وقتلاً على تلاميذ الرب، فتقدم إلى رئيس الكهنة وطلب منه رسائل إلى دمشق حتى إذا وجد أناساً في الطريق رجالاً أو نساءً يسوقهم موثقين إلى أورشليم»[٢]. وعجباً أن توجد هذه الصفات في إنسان ثم يصبح رسولاً ومؤسس ديانة[٣].

لذا نقول: فلتتخلص المسيحية بالأول من تناقضاتها، وتشرذماتها، وما يثار عليها من الداخل والخارج، ومن ثم تذهب لتنتقد الأديان والمذاهب الأخر وعلى رأسها الدين الإسلامي الذي عامل المسيحية كدين رباني، وعامل أتباعها بكل لطف ومودة، وهل جزاء الإحسان إلا الإحسان؟!

وعن الديانة المسيحية يقول (رولاند بنتون): «إن المسيحية بدأت

---

(١) أعمال الرسل ٧: ٦٠، ٨: ٣ .

(٢) أعمال الرسل ٩: ١ ـ ٢.

(٣) مقارنة الأديان، المسيحية، أحمد شلبي، ص ١١٢.

بسيطة، ولكن الناس عقدوها بعقائد صعبة عصفت بها»[١].

وعن المدخولات في الديانة المسيحية وما عصف بها يقول (بيري): «في رأي الكنيسة أن المسيح الإله انقلب فأصبح إنساناً وعاش مع الناس كواحد منهم ليعلمهم طريقة مثلى للعيش، وقُتِل هذا الإله بمؤامرة دبرها أعداؤه، ودفن ثم خرج من قبره وصعد للسماء، وقد احتمل هذه الآلام لينقذ المؤمنين به من الخطيئة، فالذي يدرس هذه المسيحية يجدها اقتباسات من الوثنية، واليهودية، والحياة الشرقية، والرومانية، ويجد بها عناصر أجنبية كثيرة بارزة بها كاملة أو محرفة»[٢].

ولابد لنا هنا من أن نتكلم عن الأناجيل وما يتعلق بها فنقول: إن كلمة (إنجيل) (*GOSPEL*) كلمة يونانية معناها (الحلوان): وهو ما تعطيه لمـــن أتاك ببشرى، ثم أُريد بالكلمة البشرى عينها. يتكون (الإنجيل) أو (العهد الجديد) من سبعة وعشرين سفراً، يمكن وضعها في ثلاثة أقسام هي:

١ـ قسم (الأسفار التاريخية):

ويضم هذا القسم أسفارا هي: الأناجيل الأربعة (إنجيل متى، وإنجيل مرقص، وإنجيل لوقا، وإنجيل يوحنا)، وكذلك رسالة أو سفر أعمال الرسل التي كتبها لوقا، وسميت هذه الأسفار الخمسة بالأسفار التاريخية لأنها تحوي

(١) أحمد شلبي، مصدر سابق، ص ٢٢.

(٢) مقارنة الأديان، ص ٩١.

قصصاً تاريخية.

٢ـ قسم (الأسفار التعليمية):

وتشمل إحدى وعشرين رسالة، كتب أكثرها (شاؤول) أو من سمي فيما بعد (بولس).

٣ـ رؤيا يوحنا اللاهوتي:

وتسمى رؤيا لأنها أشبه بالأحلام، ولكن يوحنا رآها في اليقظة بحسب دعواهم.

إلى جانب ما وضعه بولس ومريدوه من أناجيل ورسائل كانت هناك أناجيل متعددة تتكلم عن حياة المسيح ودعوته، منها إنجيل عيسى نفسه، وقد ورد ذكره في إنجيل مرقص، وفي رسالة بولس إلى أهل رومية، ومنها إنجيل السبعين، وإنجيل التذكرة، وغيرها من الأناجيل الكثيرة، ولكن مصير هذه الأناجيل كلها قرره مجمع (نيقيا)[٣] إذ اتخذ قرارا بإلغاء وحرق وإتلاف جميع الأناجيل التي تعارض فكرة ألوهية المسيح[٤]. فأسسوا عقائد تقوم على:

---

(٣) عُقد الاجتماع في مدينة نيقيا بآسيا الصغرى عام (٣٢٥ م) حضره (٣٠٠) أسقف بأمر من قسطنطين الذي يعتبر أول إمبراطور مسيحي.

(٤) نظام التعليم في علم اللاهوت القويم، جيمس أنس، ج ١، ص ١٢٢، ط: بيروت ١٨٩٠م.

الفداء، والتعميد، والعشاء الرباني، والكفارة، والمصالحة، والتثبيت، وعقائد أُخر كثيرة، ومتشعبة، ومعقدة.

وقد لاحظ المفكرون الغربيون في القرون الأخيرة أن ثمة تشابهاً عجيباً بين المسيحية، والأديان الهندية، ورأوا أن كثيراً من عقائد المسيحية كالتثليث، والفداء، وقصة الصلب هي بعينها موجودة في الأديان الوثنية دون أن تكون لها جذور تاريخية في عقائد بني إسرائيل[١].

يقول المؤرخ (ولاس): «من العسير أن تجد أية كلمة تنسب فعلاً إلى عيسى ذكر فيها مبادئ الكفارة، أو الفداء، أو حض فيها أتباعه على تقديم القرابين، أو اصطناع عشاء رباني».

أن أي عاقل لن يؤمن، ولن يصدق بكتاب يتهم الأنبياء بالخداع[٢]، أو يأمر بالزنى[٣]، أو يتجنى على نبي الله إبراهيم عليه السلام[٤] أبي الأنبياء، أو يتجنى على نبي الله لوط عليه السلام وعلى ابنتيه[٥]، أو على نبي الله سليمان عليه السلام[٦]، أو

(١) دروس في تاريخ الأديان، حسين توفيقي، ص ٢٤٩.

(٢) الإصحاح ٢٧، و التكوين.

(٣) الإصحاح ١، و هوشع، الإصحاح ٣٨، و التكوين، والإصحاحين ١١ و١٢، و صموئيل الثاني.

(٤) الإصحاح ١٢، و التكوين.

(٥) الإصحاح ١٩، و التكوين.

(٦) الإصحاح ١١، و الملوك.

يقول بسوء معاملة نبي الله عيسى عليه السلام لأمه واخوته[١]، أو يقول بأن نبي الله عيسى عليه السلام كان يشرب الخمر، ويصنعه كمعجزة من معجزاته، بل هو خمّير[٢]، والكثير الكثير مما يمكن الرجوع إليه في الأناجيل الأربعة، بما حوته من تناقضات، وتهافتات لا تخفى على العاقل (الأريب)؟!

يقول الباحث والطبيب الفرنسي (موريس بوكاي)[٣]: «كثيرون ممن يقرأ الأناجيل يشعرون بالحرج بل بالحيرة عندما يتأملون في معنى بعض الروايات، أو عندما يقارنون روايات مختلفة لحدث واحد مروي في كثير من الأناجيل»[٤].

ويوضح موريس بوكاي الكثير من الأمثلة على ذلك، إذ يقول: «لا متي ولا يوحنا يتحدثان عن صعود المسيح، أما لوقا فإنه يحدده بيوم القيامة في إنجيليه وبعد أربعين يوماً في (أعمال الرسل) التي يقال إنه كاتبها. أما فيما يخص مرقس فإنه يشير إليه (دون تحديد تأريخه) وذلك في خاتمة تعتبر حالياً غير صحيحة... أن من الحكمة إذن البحث عن توضيحات في دراسة الظروف التي كتبت الأناجيل في ظلها، وفي دراسة المناخ الديني الذي كان سائداً في

---

(١) الإصحاح ١٢، و من إنجيل متى، الإصحاح ٣، و من إنجيل مرقص، الإصحاح ٨، و من إنجيل لوقا.

(٢) الإصحاح ٢، و يوحنا، الإصحاح ١١، و متى، الإصحاح ٧.

(٣) الطبيب الفرنسي موريس بوكاي (١٩٢٠ ـ ١٩٩٨ م) كان الطبيب الشخصي للملك السعودي فيصل آل سعود.

(٤) القرآن والتوراة والإنجيل، موريس بوكاي، ص ٧٣.

ذلك العصر. ان توضيح التعديلات التي وقعت على الصيغ الأولى التي تمت بالاعتماد على التراث الشفهي، وتوضيح التحريفات التي حدثت للنصوص إلى أن وصلت إلينا، كل ذلك من شأنه أن يخفف من الشعور بالدهشة أما عبارات مبهمة غير مفهومة ومتناقضة لا يدركها العقل، بل قد تذهب في بعض الأحيان إلى حد العبث واستحالة أن تتفق مع الوقائع التي أثبتها اليوم التقدم العلمي. مثل هذه الملاحظات تدل على مساهمة الإنسان في عملية تحرير النصوص وعلى التعديل الذي أصابها بعد ذلك»[١].

وعن القرآن الكريم يقول (موريس بوكاي): «وبعد أن قمتُ بدراسة النص العربي للقرآن عن كثبٍ، استطعتُ أن أحقق قائمة أدركت بعد الانتهاء منها أن القرآن لا يحتوي على أية مقولة قابلة للنقد من وجهة نظر العلم الحديث. وبنفس الموضوعية قمت بالفحص نفسه عن العهد القديم والأناجيل، أما بالنسبة للعهد القديم فلم تكن هناك حاجة للذهاب إلى أبعد من الكتاب الأول أي سفر التكوين، فقد وجدت فيه مقولات لا يمكن على الإطلاق التوفيق بينها وبين أكثر معطيات العلم الحديث رسوخاً».

الاستنتاج الرابع: (اختزالات توراتية وإنجيلية):

٤ـ (اتخذ محمد من هذه الحروف (الجمل) قسماً مشروطاً له، كما كان يفعل الأنبياء القدماء في العهد القديم: (حي هو الرب...)، وما إلى ذلك من

(١) القرآن و التوراة و الإنجيل، موريس بوكاي، ص ٧٥ ـ ٧٧.

الجمل المعتادة في التوراة والإنجيل)[١].

الرد عليه:

تقدم جوابه بما سبق ذكره، فهذه الكتب الموجودة الآن قد طالتها يد التغيير، والتحريف، فلا يمكن أن نعول عليها في مثل هكذا مدعى يحتاج إلى دليل، فأي (قسم)، وأي (كتب) ففي البداية نحتاج إلى تثبيت وجود كتب سماوية موجودة لحد الآن غير القرآن الكريم، ولابد أن تكون هذه الكتب غير محرفة، وغير منتحلة، ومن ثم نذهب للبحث عن الجمل والأقسام وما شاكل ذلك.

وسهيل قاشا يعيد مرة أخرى تخرصاته بتأثر القرآن الكريم بالتوراة، وبالإنجيل، وما شاكلها من ادعاءات هدفها التشكيك بمصدر الإسلام الأول.

ونحن نقول له: إن الموسوعة البريطانية قد أشارت إلى عدم وجود ترجمة عربية لأسفار اليهود، والتوراة، والإنجيل قبل فترة ظهور نبوة النبي محمد ﷺ، ولا في حينها، فكيف أخذ النبي ﷺ ذلك منهم[٢].

ان للتوراة ثلاث نسخ: النسخة المعتبرة عند اليهود وعلماء البروتستانت باللغة العبرية، والنسخة المعتبرة عند الكنائس الشرقية وروما باللغة اليونانية،

---

(١) القرآن بحث و دراسة، ص ٢٧٤.

(٢) الوحي القرآني في المنظور الاستشراقي، ص ١٤٨.

والنسخة المعتبرة عند السامريين باللغة البامرهية، فأي نسخ التوراة هو المقصود؟، فضلاً عن التعارض الكبير الموجود بين هذه النسخ!؟

كما ونزيده في الشعر بيتاً: إن في القرآن قصصاً وأحداثاً لا وجود لها في كتب اليهود والنصارى مع قِدمها، فمن أين أتى بها النبي محمد ﷺ؟

فضلاً عن ورود عناصر في النص القرآني تخالف ما ورد في الأناجيل الأربعة كـ: نفي التثليث[١]، ونفي بنوة المسيح لله[٢]، ونفي أبوة الله للمسيح[٣]، ونفي صلب المسيح أو قتله[٤]، ونصرة الحواريين للمسيح[٥].

الاستنتاج الخامس: (أنها من وضع ورقة بن نوفل):

٥ـ «هذه الفواتح السريانية تؤيد بل تؤكد ـ سيما نزولها في مكة ـ أن ورقة بن نوفل كان يترجم الكتاب (الإنجيل) من اللسان العبراني إلى العربي الذي بدوره دخل إلى القرآن، فأبقى محمد على تلك الحروف التي كان ورقة وغيره يفتتح بها سوره الجديدة، أو الإصحاحات المترجمة والتي على الأغلب كان ورقة يتركها كافتتاحيات للأسفار المترجمة من العهد القديم أو الإنجيل.

---

(١) سورة النساء، الآية (١٧١).

(٢) سورة المائدة، الآيات (١١٦ ـ ١١٧).

(٣) سورة المائدة، الآية (٧٢).

(٤) سورة النساء، الآية (١٥٧).

(٥) سورة آل عمران، الآية (٥٢).

فتركها محمد أو الكتاب الذين أتوا بعده كما هي دون أن يدركوا معانيها أو تأويلها»[١].

الرد عليه:

كلام مضحك مبكي، وأين الدليل على هذا المدعى؟

فسهيل قاشا يذكر هذا المدعى بلا أدنى دليل من مصدر أو مرجع عليه، وما ذلك إلا مدعى من مدعياته التي طالما يثيرها حول الأنبياء، ولا سيما على نبي الله موسى عليه السلام وذلك في كتابه المسمى بـ(التوراة البابلية) ـ مثلاً ـ والذي ذكر فيه أقوال هدفها الطعن بنبوة النبي موسى عليه السلام وبأصل التوراة فجعلها أيضاً غير أصيلة واتهمها بأنها منتحلة عن شريعة حمورابي في كلام لا يقبل به العقلاء ألبته فهو يقول: (و عند التحقق في شريعة حمورابي، يتبين لنا ان موسى لا يحتاج إلى قوة خارقة للطبيعة أو إلى مرشد خارق للعادة كي يضع شريعته. لأن شريعة حمورابي موجودة وموضوعة قبل موسى بخمسمائة عام، وهي معلومة لديه. وقومه الاسرائيليون كانوا على وشك الدخول إلى بلاد تسود فيها تلك الشريعة البابلية الكاملة)[٢].

فهو قد جاء بهذا المدعى ـ الاستنتاج الخامس ـ ليثير الشكوك حول القرآن الكريم، وبالتالي على النبي محمد صلى الله عليه وآله، سنده في ذلك قول اختطفه

(١) القرآن بحث و دراسة، ص ٢٧٤.

(٢) التوراة البابلية، سهيل قاشا، ص ١٧٨.

من كتاب (الأغاني)[١] بنى عليه استنتاجات صدقها هو ومن على شاكلته[٢].

ونحن نأسف كل الأسف لبقائه على ديدنه من انتحال الآراء، وكنت أتمنى أن يأتي برأي يوافق مقتضى العقل ولا يخالف النقل، ومدعم بأدلة رصينة، لكنه يظل يروح يمنة ويسرة ليبحث في الحفر العتيقة عن آراء يتحجج بها إذ ليست لديه قدرة استنباط الآراء، بل تراه يتمغص عندما يرى رأياً يثبت أحقية القرآن الكريم، ورسالة النبي محمد ﷺ.

وهو بهذا المدعى يتبنى آراء من سبقه، فهذا (ويل ديورانت)[٣] في كتاب قصة الحضارة يقول: «وكان في بلاد العرب كثيرون من المسيحيين، وكان منهم عدد قليل في مكة، وكان محمد على صلة وثيقة بواحد منهم على الأقل هو ورقة بن نوفل ابن عم خديجة، الذي كان مطلعاً على كتب اليهود، والمسيحيين المقدسة»[٤].

تشاكل هذه القصة المختلقة قصة أخرى، هي قصة تعلم النبي ﷺ من (الراهب بحيرى) من قرآن وتشريعات. مشيرين ـ هنا ـ إلى حقيقة مهمة جداً هي: ان كتب المسلمين التي تناولت السيرة النبوية هي التي جعلت لـ

(١) الأغاني، الأصفهاني، ج ٣، ص ١١.

(٢) القرآن بحث ودراسة، ص ٢١٤.

(٣) ويليام جيمس ديورانت، مؤرخ و كاتب أمريكي (١٨٨٥ ـ ١٩٨١ م).

(٤) قصة الحضارة، ويل ديورانت، ج ١٣، ص ٢٣.

(بحيرى) مكانة في التاريخ. أما تواريخ النصارى ـ عموماً ـ فلا ذكر فيها له، فكل ما عرفه المستشرقون عن (بحيرى)[١] كان مصدرهم في ذلك كتب ومؤلفات المسلمين[٢].

(١) بُحيرى أو بَحيرى أو بحيرا، اسم لراهب مسيحي أول من أورد قصته ابن هشام في (تهذيب السيرة) و أخذ من أتى من بعده منه، و هذا الراهب في واقع وجوده هو أقرب للأسطورة منه للواقع.

(٢) أنظر: سيرة ابن هشام، ج١، ص ٣١٩ ـ ٣٢٢، و تاريخ الطبري، ج١، ص ٥١٩ ـ ٥٢٠، و البداية و النهاية لأبن كثير، ج٢، ص ٢٨٣ ـ ٢٨٦.

حقيقة ورقة بن نوفل

أما عن (ورقة بن نوفل) فنقول: لقد انقسم علماؤنا بشأنه على اتجاهين رئيسين هما:

الاتجاه الأول: أنه شخصية وهمية لا أساس لها، بل حالها كحال باقي المختلقات التي أثيرت على الدين الإسلامي[١].

الاتجاه الثاني: يقول بأن الخيال المنسوج ليس في شخصية ورقة بن نوفل، بل هو في القصة، أو القصص التي يرويها العامة، وغيرهم حول التجاء النبي محمد ﷺ له لتثبيت نبوته، وما إلى ذلك من ادعاءات.

فمثلاً تذكر بعض الكتب[٢] أن ما بين لقاء النبي ﷺ ورقة بن نوفل وبين وفاة الأخير فترة وجيزة جداً[٣].

---

(١) يراجع لذلك كتاب الصحيح من السيرة النبوية، جعفر مرتضى العاملي، ج ٢، ص١٠٨.

(٢) كصحيح البخاري على سبيل المثال.

(٣) صحيح البخاري، ١، ٤، و ٤، ١٨٩٤.

أما ما زعمه بعض المستشرقين من أن النبي ﷺ قد لازم ورقة بن نوفل فترة طويلة من الزمن[١] أوصلها بعضهم إلى خمسة عشر عاماً قبل البعثة[٢] في تلفيقات ما أنزل الله بها من سلطان، صدقها البعض معتمدين على أقوال (الوضاعين) ممن يعتبرهم البعض أئمة في الفقه والحديث والتفسير. أمثال ابن القيم[٣]، وابن حجر العسقلاني[٤].

فنجد مثلاً بأن (الخوري الحداد)[٥] المبشر اللبناني في (سلسلة اصداراته) ضد أصالة القرآن[٦] يستدل على صحة مزاعم أسلافه من المنصرين بقوله:

---

(١) و من أبرز من حمل هذا الرأي: المستشرق البريطاني (مونتغمري وات) في كتابه: محمد في مكة، ص ٥١.

(٢) انظر: نقد الخطاب الاستشراقي، ج١، ص ٢٧٩ ـ ٢٨٠.

(٣) في كتابه: زاد المعاد في هدي خير العباد، ج٣، ص ١٨. رغم تضعيف الترمذي للحديث الوارد. أنظر: ضعيف الترمذي للألباني ص ٢٥٦ ح ٣٩٧.

(٤) انظر: الاصابة في تمييز الصحابة، ج ٦، ص ٦٠٧.

(٥) يوسف إلياس الحداد، مبشر مسيحي لبناني، كرس جهوده للهجوم على القرآن و الإسلام، تصدى له و رد عليه الاستاذ (محمد عزة دروزة) في كتابه (القرآن و المبشرون) الذي طبعه المكتب الإسلامي في بيروت سنة (١٩٧٢ م).

(٦) صدرت هذه السلسلة منتصف القرن العشرين في أربع مجلدات طبعتها مطبعة حريصا البولسية في لبنان بعنوان (دروس قرآنية) مع عنوان خاص لكل كتاب، و جاءت على النحو التالي:

١ـ الإنجيل و القرآن.
٢ـ القرآن و الكتاب.
٣ـ القرآن و الكتاب و هو تكملة للجزء الثاني.
٤ـ نظم القرآن و الكتاب.

(فوجود العالِم المسيحي ورقة بن نوفل في جوار محمد خمسة عشر عاماً قبل البعثة، وأعواماً بعدها في أوائل الدعوة ووجود هذه الحاشية الكريمة في المدينة مع النبي في كل مكان حجة قاطعة على أن بيئة النبي والقرآن كانت كتابية من كل نواحيها، وأن ثقافة محمد والقرآن كتابية في كل مظاهرها، وذلك بمعزل عن الوحي والتنزيل)[١].

(١) القرآن و الكتاب، الحداد، ج٢، ص ١٠٦٠.

ترتيب نزول السور القرآنية هو الحَكم بيننا

على كل حال، وعلى فرض كون شخصية (ورقة بن نوفل) حقيقية فإن علينا (تاريخياً وعلمياً) أن نرجع إلى ترتيب نزول الآيات والسور القرآنية لنعرف من خلالها حقيقة، أو بطلان هذا المدعى فنقول: إن السور القرآنية قد نزلت إما كاملة، أو متفرقة، وفي بداية الدعوة الإسلامية كانت السور تنزل على شكل آيات متفرقة بحسب الحكمة، وبحسب الحاجة، أو بحسب الحادثة التي تأتي من أجلها، وإن من السور ـ أو آيات السور ـ التي نزلت في الطور السري ما يمكن أن نجمله بذكر ما نزل منها، وهو على الترتيب الآتي: (العلق، والمزمل، والمدثر، والفاتحة، والمسد، والأعلى، والضحى، والشرح، والعصر، والعاديات، والكوثر، والماعون، والكافرون، والمعوذتان، والتوحيد، والنجم)[1].

وهنا انتهت الدعوة السرية، والتي دامت ثلاث سنين، ومن المتيقن أن ورقة بن نوفل قد مات في هذه الفترة، أو في بدايتها، فأين الحروف المقطعة التي أسهم في وضعها؟، وأي هذه السور يحتوي على حروف مقطعة؟

---

(١) موسوعة التاريخ الإسلامي، محمد هادي اليوسفي الغروي، ج ١، ص ٤٥٠ ـ ٤٧٧.

أما في طور الدعوة العلنية، وبعد إعلان حمزة بن عبد المطلب إسلامه نزل من القرآن الكريم السور الآتية: (عبس، والقدر، وقريش، والهمزة، والمرسلات، وق، والبلد، والقمر، وص، والأعراف، ويس، والفرقان، ومريم، والواقعة، والشعراء، والقصص، والإسراء، ويونس، وهود، والحجر)[١].

أما بعد حادثة يوم الدار فقد نزلت سور: (الأنعام، ولقمان، والزمر)[٢].

أما بعد هجرة المسلمين إلى الحبشة فقد نزلت سور: (السجدة، والزخرف، والدخان، والأحقاف، والكهف، والنحل)[٣].

أما بعد وفاة أبي طالب، وخديجة بنت خويلد عليهما السلام، وبعد أن بدأ النبي محمد صلى الله عليه وآله يعرض نفسه على القبائل، وبعد هجرته إلى الطائف وعودته منها، وبعد لقاءه بالخزرج في موسم العمرة نزلت سور: (الأنبياء، والمعارج، والروم، والعنكبوت)[٤].

ثم كان بعدها بيعة العقبة[٥]، ومن ثم أذن النبي صلى الله عليه وآله لأصحابه بأن يهاجروا إلى يثرب[٦]، ثم كانت المؤامرة لقتل النبي صلى الله عليه وآله[٧]، ومبيت الأمام علي

---

(١) م، ن، ج ١، ص ٤٩٣ ـ ٥٢٨.

(٢) م، ن، ج ١، ص ٥٣٩ ـ ٥٥٤.

(٣) موسوعة التاريخ الإسلامي، ج ١، ص ٦٠١ ـ ٦١٣.

(٤) م، ن، ج ١، ص ٦٥٥ ـ ٦٨٢.

(٥) م، ن، ج١، ص ٦٩١.

(٦) م، ن، ج١، ص ٧١٧.

(٧) م، ن، ج١، ص ٧٢٧.

بن ابي طالب عليه السلام في فراش النبي صلى الله عليه وآله[١]، ثم كانت هجرة النبي محمد صلى الله عليه وآله إلى يثرب[٢]. فبدأت مرحلة جديدة من مراحل الدين الإسلامي، والرسالة المحمدية الخاتمة.

ولابد أن نشير إلى أن هناك مؤاخذات كثيرة على قصة (ورقة بن نوفل) مع النبي محمد صلى الله عليه وآله من أهمها هو اختلاف سرد قصة رؤية الوحي عند المؤرخين بما يجعل منها مثاراً للتشكيك[٣] هذا من جانب.

ومن جانب آخر نقول: لو صحت القصة، أو (القصص) المذكورة فلماذا لم يؤمن (ورقة بن نوفل) حينذاك وقد علم بأن محمدا صلى الله عليه وآله نبيا مبعوثا وأن دعوته حق، وأنه سيكون نبي هذه الأمة؟

لكن بعض المصادر تورد بأن ورقة بن نوفل مات فترة الوحي[٤]، ولم يؤمن بالنبي محمد صلى الله عليه وآله.

---

(١) م، ن، ج١، ص ٧٣٢.

(٢) م، ن، ج١، ص ٧٣٣ ـ ٧٤٢.

(٣) يراجع لذلك للتأكد: سيرة أبن هشام، ج ١، ص ٢٥٢ ـ ٢٥٥، و صحيح البخاري، ج ١، ص ٣ ـ ٤، و صحيح مسلم، ج ١، ص ٩٧ ـ ٩٩، و تاريخ الطبري، ج ٢، ص ٢٨٩ ـ ٣٠٣، و تفسير الطبري، ج ٣٠، ص ١٦١، و حياة محمد لمحمد حسين هيكل، ص ٩٥ ـ ٩٦، و أسد الغابة، ج ٥، ص ٨٨، و الإتقان، ج ١، ص ٢٤.

(٤) صحيح البخاري: ج١، ح٤ وج٤، ح١٨٩٤. فتح الباري: ج١، ص٢٨ـ ٣٠.

أما دعوى إسلام ورقة بن نوفل[١] فليست بالشيء الصحيح، وعن ذلك يقول ابن عساكر: (لا أعرف أحداً قال إنه أسلم)[٢].

أمّا ما زعمه المستشرق (مونتغمري وات) من أن النبي محمد ﷺ قد لازم ورقة فترة من الزمن[٣]، فهذا المدعى ليس بالشيء الصحيح، ولا يوجد أي دليل تاريخي موثق عليه، بل نجد أن بعض المستشرقين قد وصل بهم السفه إلى القول بأن الملازمة هذه دامت خمسة عشر عاماً قبل البعثة[٤].

كما ونجد أن (لويس شيخو)[٥] مثلًا قد ذهب إلى أن وفاة ورقة بن نوفل كانت في عام (٥٩٢ م) من دون أن يحدد الأدلة والبراهين التي دفعته إلى تبني مثل هذا المدعى[٦].

---

(١) أحد القائلين بهذه الدعوى غير الحقيقية هو (أبن القيم) في كتابه زاد المعاد في هدي خير العباد، ج ٣، ص ١٨.

(٢) الإصابة، ج ٣، ص ٤٣٣.

(٣) محمد في مكة، مونتغمري وات، ص ٥١.

(٤) نقد الخطاب الاستشراقي، ج ١، ص ٢٧٩ ـ ٢٨٠.

(٥) لويس شيخو اليسوعي (١٨٥٩ ـ ١٩٢٧ م) راهب كلداني، و أديب و مؤلف، أنشأ مجلة (المشرق) في بيروت سنة (١٨٩٨ م)، همه في كل ما يكتب خدمة طائفته فقط.

(٦) شعراء النصرانية، ج ١، ص ٦١٦.

القسم الثالث

شبهات أُخر
حــول القــرآن الكريــم

تخرصات سهيل قاشا الأُخر حول القرآن الكريم نموذجا

إن سهيل قاشا وفي كثير من استنتاجاته يعتمد على الروايات الحديثية، والروايات التاريخية، وهو يرجح الضعيف منها في أكثر الأحيان، وقد جعلها منطلقاً له في بحثه حول القرآن الكريم، وكل ما يتعلق به، لكنه ومع كل ذلك نجده يقول عن المنظومة الحديثية الإسلامية التي تحجج بها لإثبات الكثير من المدعيات بانها (وثائق مشبوهة) لذا سوف نورد ادعاءاته وتخرصاته وهي كالآتي:

١ـ التجني على المنظومة الحديثية الإسلامية:

«وأنه لابد من الاستناد إلى وثائق مشبوهة متخذة من صلب الأحاديث والروايات. ومن المعلوم أن هذا الذي يدعوه المسلمون (حديثاً) إنما هو مجموعة من الأخبار المتناقلة شفهياً... سوادها الأعظم إنما هو مما استنبطته مخيلات العصور اللاحقة»[١].

---

(١) القرآن بحث ودراسة، سهيل قاشا، ص ١٣.

وسهيل قاشا بقوله هذا إنما يحاكي آراء من سبقه من رجال دين مسيح، ويهود، ومستشـرقين كانت لهم دوافعهم الخاصة لتوجيه النقد للدين الإسلامي.

فمثلاً نجد المستشرق (جولدتسيهر) يقول وبحسب رأيه عن تعارض الأحاديث مع نص القرآن: «فلا يوجد كتاب تشريعي اعترفت به طائفة دينية اعترافاً عقدياً على أنه نص منزل أو موحى به يقدم نصه في أقدم عصور تداوله مثل هذه الصورة من الاضطراب وعدم الثبات كما نجد في نص القرآن»[١].

وكذلك نجد أن الكاتب الأمريكي (كارل إيرنست) يقول: «وقد أخذ المفكرون المسلمون يتأملون في مسألة شرعية محمد لسنوات عديدة، فمن ناحية قال في حديثه: (اختلاف أمتي رحمة). ولكن من ناحية أخرى فقد نص على أنه: (لا تجتمع أمتي على ضلالة). وفي مسعى لحل عدم التطابق تم اللجوء إلى وسيلة فنية مختصرة ترفض هذه الأحاديث من منطق الجرح التقليدي برواة هذه الأحاديث»[٢].

كل ذلك بهدف إثارة الشكوك بالقرآن الكريم، وبالمنظومة الحديثية، وبالتالي في مجمل الدين الإسلامي فـ «الهدف الأساسي من وراء التشكيك، ونفي إعجاز القرآن الكريم في أسلوبه البلاغي، وإخباراته الغيبية، وحقائقه

(١) مذاهب التفسير الإسلامي، جولدتسيهر، ص ٤.

(٢) على نهج محمد، كارل إيرنست، ص ٢٦١.

العلمية واضح، وهو إسقاط الدليل الذي يثبت سماويته وخلوده... وإسقاط دعوى نبوة محمد ﷺ وإرساله من قبل الله تعالى للعالمين... وبذلك يفقد القرآن الكريم، والنبي ﷺ قدسيتهما لدى المسلمين، تلك القدسية القائمة على أساس أن القرآن الكريم كلام الله أوحاه لنبيه ﷺ، وعندها يصبح شأن القرآن لديهم شأن أي كتاب بشري يطاله التغيير، والتعديل، أو الإهمال، وما (محمد) إلا رجل متميز بذكاء، وقدرة اجتماعية استطاع من خلالها أن يهيمن على قومه، ويقنعهم بأساليبه النفسية، أنه نبي، ورسول لهم من الله بهذا القرآن»[١].

٢ـ شبهات حول جمع القرآن الكريم:

وعن قضية جمع القرآن الكريم يقول سهيل قاشا: «وإنما جل ما نريد البرهان عنه، وما تفرضه علينا الوثائق هو أن الرسول لم يفكر مدة حياته في تنظيم القرآن كتاباً سوياً منسقاً. ولو كان قد فعل، لما ألجئ خلفاؤه من بعده إلى تلافي الأمر، وإلا لأمر باستدراك الخلل وانتداب رواة القرآن إلى جمعه من الرقاع وصدور الناس»[٢].

فقد وضح مراده بأن (ما نريد البرهان عنه) فهو يريد أن يبرهن على شيء مهم وهو (التشكيك بالرسالة الخاتمة، وبالقرآن الكريم).

---

(١) الإسلام وشبهات المستشرقين، الشيخ فؤاد كاظم المقدادي، ص ١٣٣.

(٢) القرآن بحث ودراسة، سهيل قاشا، ص ٢١.

وبماذا يستدل؟ هو يقول (وما تفرضه علينا الوثائق)، أي وثائق؟ أليس المراد بها الأحاديث الواردة في موضوع القرآن الكريم وجمعه؟ ألم يفند المنظومة الحديثية ويعتبرها مجرد (مخيلات)[١].

يقول السيد الخوئي ﵀ عن قضية جمع القرآن: إن «الأخبار التي دلت على جمع القرآن في عهد أبي بكر بشهادة شاهدين من الصحابة، كلها أخبار آحاد، لا تصلح أن تكون دليلاً في أمثال ذلك... إنها معارضة بأخبار كثيرة دلت على أن القرآن قد جُمع في عهد النبي ﷺ»[٢].

كما وإن روايات جمع القرآن بعد وفاة النبي ﷺ «معارضة بما دل على أن القرآن كان قد جمع وكتب على عهد رسول الله ﷺ فقد روى جماعة منهم ابن أبي شيبة، وأحمد بن حنبل، والترمذي، والنسائي، وابن حبان، والحاكم، والبيهقي، والضياء المقدسي»[٣].

فالقرآن الكريم قد تم جمعه في حياة النبي محمد ﷺ، ويؤيد ذلك آيات القرآن الكريم الواردة بذلك[٤]، وما روي في تفسير (القمي)[٥]، عن الإمام

---

(١) م، ن، ص ١٣.

(٢) البيان، السيد الخوئي، ص ٩٣.

(٣) البيان، ص ٢٤٨.

(٤) ومن أمثال ذلك: سورة الحجر الآية (٩)، وسورة النحل الآية (٨٩)، وسورة فصلت الآية (٤٢)، وغيرها الكثير.

(٥) علي بن إبراهيم القمي.

الصادق عليه السلام، عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه أمر علياً عليه السلام بجمع القرآن، وقال صلى الله عليه وآله: «يا علي القرآن خلف فراشي في المصحف والحرير والقراطيس فخذوه واجمعوه ولا تضيعوه كما ضيعت اليهود التوراة» فانطلق علي بن أبي طالب عليه السلام فجمعه في ثوب أصفر، ثم ختم عليه[١].

وروى الطبراني، وابن عساكر، عن الشعبي قال: «جمع القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله ستة من الأنصار: أُبي بن كعب، وزيد بن ثابت، ومعاذ بن جبل، وأبو الدرداء، وسعد بن عبيد، وأبو زيد، وكان مجمع بن جارية قد أخذه إلا سورتين أو ثلاث»[٢].

وأخرج النسائي بسند صحيح، عن عبد الله بن عمر قال: «جمعت القرآن فقرأت به كل ليلة، فبلغ النبي صلى الله عليه وآله فقال: أقرأه في شهر»[٣].

لذا فإن «إسناد جمع القرآن إلى الخلفاء أمر موهوم، مخالف للكتاب، والسنة، والإجماع، والعقل»[٤].

٣ ـ التجني على شخص النبي محمد صلى الله عليه وآله:

يقول: «كل ذلك يشهد أن الرسول لم يترك لأمته مصحفاً إماماً يحتكمون

---

(١) تفسير القمي: ج٢، ص٤٥١، سورة الناس. البحار: ج٨٩، ص٤٨، باب٧، ح٧.

(٢) منتخب كنز العمال، ج ٢، ص ٤٨.

(٣) الإتقان، ج١، ص ١٢٤.

(٤) البيان، ص ٢٥٦.

إليه في جدالاتهم حول القرآن»[١].

وجوابه بما تقدم مستفيض، فما الدليل على هذا المدعى السقيم، الخالي من الأدلة، والبراهين العقلية، أو النقلية المقنعة؟ وما هذا القول إلا إرادة على التشكيك بالنبي محمد ﷺ، وبالقرآن الكريم.

هذا وغيره من الأقوال ألجأ الكثير من أعداء الإسلام إلى التمادي والتجاوز على هذا الدين السماوي، فمثلاً نجد بأن المستشرق النمساوي (غوستاف فون غرونباوم)[٢] وفي معرض كلامه عن القرآن الكريم يقول: «والكتاب الذي بين أيدينا ليس هو الكتاب الذي بلغه محمد. وفي الواقع فإنه لم يبلغ أبداً أي كتاب، واكتفى بأن نقل أشياء متفرقة هي عبارة عن رؤى قصيرة وأوامر وحكم وخرافات وخطب عن مذهبه».

كما ونجد أن (كارل إيرنست) يقول: «من المستحيل بالنسبة للنبي محمد أن تكون لديه هذه المعرفة العلمية»[٣].

لقد كان المحور الأساسي للمستشرقين، وأعداء الدين الإسلامي في

---

(١) القرآن بحث ودراسة، ص ٣٣.

(٢) غوستاف فون غرونباوم (١٩٠٩ ـ ١٩٧٢ ميلادي) مستشرق نمساوي الأصل أمريكي الجنسية، أستاذ الشرق الأدنى بجامعة كاليفورنيا، له (المسلمون)، يعتبر بأن الإسلام هو مجموعة نقائض.

(٣) على نهج محمد، كارل إيرنست، ص ٢٠٢.

تناولهم لتاريخ القرآن الكريم، وللسيرة النبوية المباركة هو من خلال تتبع مفردات التاريخ الإسلامي، واستقصاء الشاذ، والنادر، والمحرف فيه، والتي أحدثها حكام السوء، ووعاظ السلاطين، وأعداء الإسلام، والدخلاء، وتسليط الضوء عليها، وإظهارها على أنها السيرة الحقيقية للرسول الأكرم ﷺ، ولأهل بيته المعصومين عليهم السلام، هدفهم من وراء ذلك إلصاق تهمة التهافت في سيرتهم العطرة، وبالتالي تشجيع النقد، والطعن فيهم، وبالتالي نفي العصمة عنهم، وبخاصة نفي نبوة النبي محمد ﷺ، والطعن بمصداقية القرآن الكريم.

٤ ـ شبهات حول المصحف العثماني:

يقول سهيل قاشا: «لا شك أن المصحف العثماني يكون مرحلة تقدمية بالنسبة إلى مصحف أبي بكر وذلك بفضل ما أجرى فيه من تنقيحات، وزيادات، وتعديلات، وأما بالنظر إلى الأمة فقد حاز بثقته الأغلبية، وظهر في أعينها بمظهر الإمامية»[١].

أيّ تنقيحات، وأيّ زيادات، وأي تعديلات؟ ومن أين جاء بهذه الأقوال؟

فكل هذه الادعاءات هدفها إثبات التحريف في القرآن الكريم[٢]، وذلك

---

(١) القرآن بحث ودراسة، ص ٤٨.

(٢) فنجد مثلاً أن القاضي أبو بكر الباقلاني (ت ٤٠٣ هـ) يكيل في كتابه (نكت الانتصار) التهم للشيعة الإمامية، و بانهم قالوا بالزيادة و النقصان في القرآن الكريم، و عقد لتلك المدعيات عدة أبواب.

بأن هناك أشياء قد أضيفت أو حذفت منه.

وسهيل قاشا هنا يريد إلصاق تهمة التحريف بعثمان بن عفان، وبغيره ممن يعزى إليه كتابة القرآن، أو جمعه، أو ترتيبه. وقد رد السيد الخوئي ﷺ دعوى التحريف المنسوبة للشيخين[١]، أو لعثمان بن عفان[٢]، أو لغيرهم[٣] جملةً وتفصيلا.

فسهيل قاشا بهذا المدعى يتبنى رأي المستشرق (جولدتسيهر) الذي يقول: «إن الشيعة يعتقدون بأن في المصحف العثماني زيادات، وإضافات، وتغييرات على أصل القرآن»[٤].

كما ويذكر الزركشي في الإتقان: «والمشهور عند الناس أن جامع القرآن عثمان، وليس كذلك، إنما حمل عثمان الناس على القراءة بوجه واحد على اختيار وقع بينه وبين من شهده من المهاجرين والأنصار لما خشي الفتنة عند اختلاف أهل العراق والشام من حروف القراءات والقرآن»[٥].

٥ ـ شبهة عدم صلاحية القرآن الكريم لكل زمان:

يقول سهيل قاشا: «إلا أن الإصدار العثماني لم يكن ليفي تماماً بمقتضيات

(١) البيان، ص ٢١٧.

(٢) م، ن، ص ٢١٨.

(٣) م، ن، ص ٢١٩.

(٤) مذاهب التفسير الإسلامي، جولدتسيهر، ص ٢٩٣.

(٥) البرهان، الزركشي، ج ٩، ص ٢٣٩.

الحياة الإسلامية ولا سيما بعد أنتشار الإسلام واحتلالاته الجارفة»[١].

أهو ماركة، أم صرعة، أم آلة تصنع بحسب الموديل؟

هذا ليس بالمدعى الجديد، ولا بالمنتهي، فهو يتكرر في كل زمان، ومكان، وأساسه مبني على (عدم صلاحية القرآن لكل زمان).

فإن القول بـ (تاريخانية القرآن)، ووقتية أحكام القرآن، وعدم صلاحيته لكل زمان من الدعوات التي تتكرر كل يوم، حتى جاء أدعياء الفكر المادي بلباس جديد لهذه الشبهة هو (التاريخانية)[٢].

إن هذه الدعوى الموجهة للقرآن الكريم ليست جديدة كما ذكرنا، فلقد سبق وأن تبناها فلاسفة ما يسمى بعصر التنوير الغربي، وقادة الفكر العلماني في نقدهم للتوراة، والإنجيل، فاستوردها بعض من المستشرقين، ومن اللاهثين وراءهم ليطبقوها على القرآن الكريم، وذلك لإثارة الشبهات حوله، الهدف من وراء ذلك هو عدم الأخذ به بحجة انتهاء صلاحيته.

---

(١) القرآن بحث ودراسة، ص ٤٨.

(٢) المنهج (التاريخاني): هو المنهج الذي يرى أن تفسير النص يجب أن يكون مرهوناً بتاريخه، ويجب أن يكون ساكناً هناك ملاصقاً للحظة ميلاده، إذ لا يمكن فصل أي نص عن تاريخه، وهو مبتنٍ على نزعة مادية وضعية لا تؤمن بأن الأديان من عند الله تعالى، ولقد حاول البعض إلصاق النص بالتاريخ لتسويغ التخلي عنه، ولقد حمل التاريخانيون لواء التشكيك في تجديدية و تجددية القرآن الكريم، وعدم صلاحيته لكل زمان ومكان.

٦ ـ أخطاء تاريخية لا تغتفر:

يقول سهيل قاشا: «إلى أن استقامت الخلافة لعبد الملك بن مروان سنة ٦٥ هـ / ٦٨٥ م... كان لابد أن يتصدى لمعضلة القرآن ويعالجها بحلول صائبة جذرية، وأول خطة أتبعها بمعاونة عميليه عبيد الله بن زياد، والحجاج بن يوسف الثقفي القضاء على النسخ المغايرة للنص العثماني»[١].

وهنا قد جاء سهيل قاشا بهذه الادعاءات ليثبت حصول التغيير، والتحريف في القرآن الكريم هدفه من وراء ذلك التشكيك به، ولسان حاله: إذا قلتم بأن الإنجيل محرف، فالقرآن محرف أيضاً. كما وتثبت عباراته المتقدمة جهلة المدقع بالتأريخ، بالإضافة إلى جهل من نقل عنه هذه العبارات السقيمة.

فمن المسلمات بأن الحجاج بن يوسف الثقفي[٢] كان والياً وخادماً وقائدَ

---

(١) القرآن بحث ودراسة، سهيل قاشا، ص ٥٠.

(٢) الحجاج بن يوسف بن الحكم بن أبي عقيل بن مسعود بن عامر بن معتب الثقفي، ولد في طائف الحجاز سنة (٤٠ هـ) مات سنة (٩٥ هـ) بواسط العراق، الظالم الجلف الجافي، أول ولاية تولاها تبالة، فلما رآها احتقرها و تركها، ثم تولى قتال أبن الزبير و قتله و صلبه بمكة سنة (٧٣ هـ)، ولاه عبد الملك بن مروان الحجاز ثلاث سنين، ثم ولاه العراق عشرين سنة، حطم أخلها و فعل ما فعل، دفن في واسط و عفي قبره و أجري عليه الماء، يقول فيه الذهبي في سير أعلام النبلاء ج ٤ ص ٣٤٣: (وكان ظلوماً جباراً ناصبياً خبيثاً سفاكاً للدماء... فنسبه و لا نحبه بل نبغضه في الله فإن ذلك من أوثق عرى الإيمان).

جيش عبد الملك بن مروان[١]، أما أن يكون عبيد الله بن زياد[٢] قد كانت لديه السعة لفعل ذلك، وهو الذي شغل بالحروب، وأنتهى به المصير مقتولاً على يد جيش المختار الثقفي، كيف يمكن ذلك لا ندري؟!

نعم، إن الحجاج بن يوسف الثقفي، وعبيد الله بن زياد قد قضوا على

---

(١) عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية، أمه عائشة بنت معاوية بن الوليد بن المغيرة بن أبي العاص الأموية، كلا جديه لأبويه طريدا رسول الله ﷺ، ولد في المدينة سنة (٢٦ هـ) و نشأ بها و شهد يوم الدار مع أبيه مروان للدفاع عن عثمان، أستعمله معاوية على المدينة و هو أبن (١٦) سنة، و بعد موت أبيه مروان استخلفه الناس على عامة البلدان في غرة رمضان من سنة (٦٥ هـ)، لما أفضى إليه الحكم كان بين يديه مصحف يقرأ فيه فأطبقه و قال: (هذا فراق بيني و بينك)، و قد أخبر النبي ﷺ عنه: (إنه أبو الجبابرة الأربعة، و ستلقى الأمة منه يوم أحمر)، و الجبابرة هم (الوليد، و سليمان، و هشام، و يزيد)، و قال عنه أمير المؤمنين عليه السلام: (لكأني أنظر إلى ضليل قد نعق بالشام و محصت راياته في ضواحي كوفان)، و كان مدة خلافته لا يفتر عن عمل الموبقات و اقتراف السيئات و الفظائع، فقد سلط على رقاب الأمة واليه الحجاج بن يوسف الثقفي الجبار الأثيم المجرم، و العتل الزنيم، و سفك دماء الشيعة، و كل من يأمر بالعدل و يتسم بالتدين، و كان عبد الملك بن مروان أول حاكم نهى عن الكلام في حضرته، و أول من نهى عن الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر، فقد قال فيما قال في خطبته بعد قتل أبن الزبير و صفاء الجو له: (و لا يأمرني أحد بتقوى الله بعد مقامي هذا إلا ضربت عنقه)، في عهده كانت ثورة التوابين بقيادة سليمان بن صرد الخزاعي، و ثورة المختار، و غيرها من الثورات، لفظ أنفاسه الأخيرة العفنة في قصر الأمارة بدمشق منتصف شوال سنة (٨٦هـ) و قبر فيها.

(٢) عبيد الله بن زياد (٢٨ هـ ـ ٦٧ هـ).

المسلمين لا على النسخ المغايرة للنص العثماني، وبدقة أكبر: إنهم قضوا على كل ما هو مغاير لنص الحكم الأموي.

كما ويقول سهيل قاشا: «وأما الحجاج فإن هناك من الأقوال والشواهد والروايات ما يؤخذ منها أنه صاحب الإصدار الأخير للقرآن، وأن المصحف المتداول إنما هو مصحف الحجاج من جمعه وترتيبه، وأنه بعد أن أفرغ على القرآن صيغته الأخيرة والنهائية، جمع المصاحف المتداولة العثمانية وغير العثمانية وأبادها»[١].

أي أقوال، وشواهد، وروايات؟ ألم ينعت تلك الشواهد بأنها مخيلات[٢]، ويشكك في المنظومة الحديثية بشكل عام.

و بشأن الحجاج وما قام به فإن ما موجود لدينا مما تذكره بعض الروايات على أنه عدل بعض الحروف، وما شاكل ذلك، ويمكن الرجوع للمصادر التي ذكرت ذلك لمعرفة التفاصيل الدقيقة للموضوع[٣].

و عن ذلك نقول:

أولاً: اوردت بعض المصادر التاريخية بأن الحجاج بن يوسف الثقفي قد غير حروفاً من مصحف عثمان، وأسقط حروفاً كانت فيه، وانه كتب ستة

---

(١) القرآن بحث ودراسة، ص ٥١.

(٢) م، ن، ص ١٣.

(٣) يراجع لذلك كتاب المصاحف للسجستاني.

مصاحف وجه بها إلى الأمصار، وجمع المصاحف المتقدمة، وأغلى لها الخل حتى تقطعت، وأنه قصد بذلك التزلف إلى بني أمية بإثبات خلافتهم، وإبطال خلافة ولد عليّ والعباس[١].

كما وانه قد وكل عصاماً الجحدري وناجية ابن رُمح وعليّ بن أصمع بتتبع المصاحف، وأمرهم أن يقطعوا كل مصحف وجدوه مخالفاً لمصحف عثمان، ويعطوا صاحبه ستين درهماً[٢].

و يمكن الرجوع إلى مصادر الحديث ورجاله واسانيده للتأكد من صحة الحديث أو عدمه، ومدى رواج أو عدم رواج (مصاحف الحجاج).

ثانياً: اننا قد قرأنا في كتاب سهيل قاشا قيد البحث أنه وصف المنظومة الحديثية بأنها مشبوهة، ومخيلات، وما شاكل ذلك إذ يقول بالحرف الواحد: «وأنه لابد من الاستناد إلى وثائق مشبوهة متخذة من صلب الأحاديث والروايات. ومن المعلوم أن هذا الذي يدعوه المسلمون (حديثاً) إنما هو مجموعة من الأخبار المتناقلة شفهياً... سوادها الأعظم إنما هو مما استنبطته مخيلات العصور اللاحقة»[٣].

فكيف يا ترى يعول على شيء هو شاكٌ به، ثم يأتي به كدليل على أقواله،

---

(١) مناهل العرفان، الزرقاني، ج١، ص ٢٦٤.

(٢) تأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة، ص ٥١ ـ ٥٢.

(٣) القرآن بحث و دراسة، ص ١٣.

فهل يعقل ذلك ممن يدعي بأنه كاتب حاذق (أريب)؟!

ثالثاً: يقول السيد الخوئي ﷺ في رد هذه الدعوى ما نصه: (و هذه الدعوى تشبه هذيان المحمومين وخرافات المجانين والأطفال، فإن الحجاج واحد من ولاة بني أمية، وهو أقصر باعاً وأصغر قدراً من أن ينال القرآن بشيء، بل وهو أعجز من أن يغير شيئاً من الفروع الإسلامية، فكيف يغير ما هو أساس الدين وقوام الشريعة؟! ومن أين له القدرة والنفوذ في جميع ممالك الإسلام وغيرها مع انتشار القرآن فيها؟! وكيف لم يذكر هذا الخَطْبَ العظيم مؤرخٌ في تاريخه ولا ناقدٌ في نقده، مع ما فيه من الأهمية وكثرة الدواعي إلى نقله، وكيف لم يتعرض لنقله واحد من المسلمين في وقته، وكيف أغضى المسلمون عن هذا العمل بعد انقضاء عهد الحجاج وانتهاء سلطته؟!...)[١].

٧ ـ التشكيك بالوحي:

يقول سهيل قاشا: «وأما كيفية ذاك التنزيل ـ أي الوحي ـ فلا نملك من أمر تفسيره إلا التكهنات والافتراضات»[٢].

الوحي هو تعبير عما يلقيه الله سبحانه وتعالى إلى نبي من أنبيائه عليهم السلام بواسطة ملك، أو بغير ذلك من وسائط الاتصال، لأجل تبليغ الرسالة الإلهية، ويسمى هذا الوحي بـ (الوحي الرسالي)، وقد ورد ذكره في أكثر من سبعين

(١) البيان، السيد الخوئي، ص ٢١٩ ـ ٢٢٠.

(٢) المصدر السابق، ص ١٢.

موضعاً من القرآن الكريم.

وتعتبر ظاهرة الوحي من أبرز سمات وميزات ومشخصات الأنبياء عليهم السلام التي يمتازون بها عن غيرهم، وحول ذلك يقول السيد الطباطبائي رحمه الله: «فكان صلى الله عليه وآله يرى شخص الملك، ويسمع صوت الوحي، لكن لا بهذه السمع والبصر المادِيين، وإلا لكان أمراً مشتركاً بينه وبين غيره... فكان يأخذه بُرحاء الوحي، وهو بين الناس فيوحى إليه، ولا يشعر الآخرون الحاضرون»[١].

أما حول ألفاظ القرآن الكريم، وهل وردت بنفس المراد، واللفظ الإلهي، أم بلفظ الوحي، أم بلفظ النبي محمد صلى الله عليه وآله؟

في الحقيقة لقد وردت العديد من الأقوال، والدعوات حول ذلك، والتي ذكرها الزركشي[٢]، والسيوطي[٣]، والسمرقندي، والجويني[٤]، وقد رد الشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني على هذه الدعوات بقوله: «وقد أَسَفّ بعض الناس فزعم أن جبرائيل كان ينزل على النبي صلى الله عليه وآله بمعاني القرآن، والرسول يعبر عنها بلغة العرب. وزعم آخرون أن اللفظ لجبرائيل، وأن الله كان يوحي إليه المعنى فقط. وكلاهما قول باطل أثيم، مصادم لصريح الكتاب، والسنة، والإجماع،

(١) تفسير الميزان، ج ١٥، ص ٣٤٦.

(٢) البرهان، ج ١، ص ٢٢٩ ـ ٢٣٠.

(٣) الإتقان، ج ١، ص ١٢٦.

(٤) م، ن، ج ١، ص ١٢٧ ـ ١٢٨.

ولا يساوي قيمة المداد الذي يكتب به...»[١].

إن من أشهر المستشرقين الذين شككوا بالوحي على سبيل المثال: (هاملتون جب[٢]، وأميل درمنغام، وأدوارد مونتيه[٣]، وباول كازانوفا[٤]).

٨ـ تعدد المصاحف:

ان سهيل قاشا يورد ذكر شبهة المصاحف المتعددة[٥] إذ يقول: «كانت الأمة تقرأ نسخ يختلف بعضها عن بعضها الآخر»[٦].

فهو هنا أيضاً يريد إسقاط شبهة (تعدد الأناجيل) على القرآن الكريم، فيريد من كلامه هذا أن يبين أن هذه المصاحف أيضاً مختلفة فيما بينها، وهو بالحقيقة لا يعلم بأنها (نسخ) لنفس القرآن الكريم كتبت بخطوط مختلفة، من قبل كُتاب مختلفين، إذ كتبها كل شخص بخط يده الخاص به، وهذا جلي وواضح في زماننا هذا من حيث: (تعدد المخطوطات)، أو (دور الطباعة)، أو (دور النشر)، والتي تتعدد وتتنوع في مطبوعاتها من حيث النوعية، وطبيعة

(١) مناهل العرفان، ج ١، ص ٤٩.

(٢) هاملتون جب (١٨٩٥ ـ ١٩٧١ م) مستشرق إنكليزي الأصل.

(٣) أدوارد مونتيه (١٨٥٦ ـ ١٩٢٧ م) مستشرق فرنسي.

(٤) باول كازانوفا (١٨٦١ ـ ١٩٢٦ م) مستشرق فرنسي.

(٥) المصدر السابق، ص ٣٠ ـ ٣٢.

(٦) م، ن، ص ٣٣.

الخط، وما شاكل ذلك من ميزات، وعلامات فارقة.

فقضية تعدد المصاحف، وبالتالي اختلافها هي من الشبهات التي أثارها أعداء الدين الإسلامي قديماً وحديثاً، ونحن نتحدى كل شخص يقول بذلك أن يأتي بنسخة مغايرة لما موجود الآن من نسخ (القرآن الكريم) زيادة أو نقصاً، وأما الذي يتحججون به فهو مجرد أقوال، وادعاءات ذكرتها كتب عديدة، ونسبت إلى مذاهب متعددة، لكن المهم أين الدليل على ذلك؟ الجواب يأتي دائماً (هذا ما قالوه)؟!

والقرآن الكريم كان ولا زال وسيظل كتاباً واحداً، ونسخة واحدة معتمدة يأتم بها كل المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها.

فالله سبحانه وتعالى هو القائل: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ (سورة الحجر، الآية ٩).

و قال تعالى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ * فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾ (سورة البروج، الآيات ٢١ـ ٢٢).

و قال تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ * فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ * لَّا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ * تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (سورة الواقعة، الآيات (٧٧ـ ٨٠).

أما قضية (تعدد القراءات) والتي يعول عليها المستشرقون كثيراً، وكذلك تابعهم (سهيل قاشا) وكثيرٌ ممن يلهثون ورائهم، فما هي إلا اختلاف في

كيفية القراءة، ومرجع ذلك إلى (النحو العربي) فهي قضية نحوية، وهذه القراءات وبشكل عام يتعلق اختلافها بـ (الحركات) فقط.

قال الأمام الصادق عليه السلام: «القرآن واحد، نزل من عند واحد، ولكن الاختلاف يجيء من قبل الرواة»[١].

فـ «هناك فرق بين القرآن والقراءات، حيث القرآن هو النص الموحى به من عند رب العالمين نزل به الروح الأمين على قلب سيد المرسلين، وهو الذي تعاهده المسلمون جيلاً بعد جيل، تلقوه من الرسول تلقياً مباشراً، وتداولوه يداً بيد حتى حد التواتر المستفيض. لا اختلاف فيه ولا اضطراب منذ يومه الأول... وهم على قراءة واحدة كان يقرأها النبي الكريم صلى الله عليه وآله وتداوله الأصحاب والتابعون لهم بإحسان وعلى أثرهم سائر الناس أجمعون. أما القراءات فهي اجتهادات من القرّاء للوصول إلى النص الموحد، ولكن طرائقهم هدتهم إلى مختلف السبل فضلاً على تنوع سلائقهم في سلوك المنهج القويم. فذهبوا ذات اليمين وذات الشمال، كل يضرب على وتره»[٢].

«وقد ظن كثير من العوام أن المراد بها ـ الأحرف السبعة ـ القراءات السبع، وهو جهل قبيح»[٣].

---

(١) الكافي، الكليني، ج ٢، ص ٦٣٠، رقم ١٢.

(٢) شبهات وردود حول القرآن الكريم، محمد هادي معرفة، ص ٢٨٨.

(٣) التبيان، ج ١، ص ٦١.

نعم، (إن هناك مؤشرات تؤكد على أن عمر بن الخطاب كان وراء تبني فكرة الأحرف السبعة وبثها بين المسلمين، وقد ألصقت هذه الفكرة بابن مسعود وأُبي بن كعب، ومن قبلهما إلى رسول الله أيضاً دعماً لعمر...)[١].

٩ ـ تعدد الزوجات:

يقول سهيل قاشا: (وعلى كلٍ فالقرآن يحوط السماح بتعدد الزوجات بشروط هـي من الصعوبة والندرة بحيث يتضح للقارئ... أن تعدد الزوجات هو أقرب إلى المحرمات منه إلى المحللات)[٢].

لقد وقع الجدل كثيراً في موضوع (تعدد الزوجات)، وبالخصوص لدى المستشرقين، ونقاد الدين الإسلامي، فـ(تعدد الزوجات) كانت عادة جاهلية قديمة، ومهينة لوضع، ومكانة المرأة، فكيف يقر بها الإسلام ولا يدعوا لمنعها، بل نجده يؤكد عليها بقوله: ﴿فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ﴾ (سورة النساء، الآية ٣).

في الحقيقة «إن في هذا التشريع إجابة لواقع الإنسان في فطرته، وصيانة للمجتمع دون تفشي الفساد فيه... فقد جاء الإسلام ليحدد لا ليطلق ويترك الأمر لهوى الرجل، فقد قيد التعدد بالعدل، وإلا أمتنعت الرخصة. ولكن

---

(١) جمع القرآن، ج١، ص ٧٤.

(٢) المصدر السابق، ص ١٦٥.

لماذا أباح هذه الرخصة؟ إن الإسلام نظام للإنسان، نظام واقعي، إيجابي، يتوافق مع فطرة الإنسان وتكوينه، ويتوافق مع واقعه وضروراته، ويتوافق مع ملابسات حياته المتغيرة في شتى البقاع وشتى الأزمان والأحوال. إنه نظام واقعي إيجابي يلتقط الإنسان من واقعه الذي هو فيه، ومن موقفه الذي هو عليه، ليرتفع به في المرتقى الصاعد إلى القمة السامقة، في غير إنكار لفطرته أو تنكر، وفي غير إغفال لواقعه، أو إهمال، وفي غير عنف في دفعه أو اعتساف... فإذا استصحبنا معنا هذه الخصائص الأساسية في النظام الإسلامي ونحن ننظر إلى مسألة تعدد الزوجات فماذا نرى؟ نرى أن هناك حالات واقعية في مجتمعات كثيرة ـ تاريخية وحاضرة ـ تبدو فيها زيادة عدد النساء الصالحات للزواج، على عدد الرجال الصالحين للزواج. فكيف نعالج هذا الواقع الذي يقع ويتكرر وقوعه بنسب مختلفة؟ هذا الواقع الذي لا يجدي فيه الإنكار، أنعالجه بهز الكتفين؟ أو نتركه يعالج نفسه بنفسه حسب الظروف والمصادفات؟!

إن هز الكتفين لا يحل مشكلة! كما أن ترك المجتمع ليعالج هذا الواقع حسبما أتفق لا يقول به إنسان جاد يحترم نفسه ويحترم الجنس البشري. فلابد إذن من نظام ولابد إذن من إجراء...»[1].

أمّا الشبهات التي أثيرت حول تعدد زوجات النبي محمد ﷺ والتي أثارها مستشرقون كثر من أمثال: (موير، وإرفنج، وسبرنجر، وفيل، ودرمنغام،

(١) شبهات وردود حول القرآن الكريم، محمد هادي معرفة، ص ١٦٤ ـ ١٦٥.

ولامنس)[١] ما هي إلا شبهات وراءها أهداف عدائية، وتبشيرية واضحة.

إن الوقائع التاريخية تنقل لنا بأن السنن الدينية في العالم أجمع قامت على مبدأ تعدد الزوجات، كما ولقد كان للكثير من مؤسسي الأديان العديد من الزوجات إلا نبي الله عيسى عليه السلام فقد قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب في وصفه للسيد المسيح عليه السلام: «لم تكن له زوجة تفتنه، ولا ولد يحزنه، ولا مال يلفته، ولا طمع يذله، دابته رجلاه، وخادمه يداه»[٢].

وقد حرم تعدد الزوجات عند اليهود المقيمين في أوربا طبقاً لفتوى (الربي غرشوم بن يهودا)[٣]، وسرى هذا التحريم إلى يهود المشرق أيضاً، بعد أن كان محللاً.

ولم يجوز الدين المسيحي تعدد الزوجات، كما وحرموا الطلاق تحريماً مطلقاً، بعد أن كان مباحاً عندهم قبل ذلك.

نعم، لم يكن هناك حد للزوجات لدى العرب في العصر الجاهلي، ولكن الإسلام حدده بأربع نساء، وجواز الاكتفاء بواحدة فقط عند عدم مراعاة العدالة بينهن.

أما الدعوى التي جاء بها سهيل قاشا حول تعدد الزوجات، أو أن شروط

---

(١) يراجع لذلك كتاب: حياة محمد لمحمد حسين هيكل، ص ٢٩٣.

(٢) نهج البلاغة، الخطبة (١٦٠).

(٣) الربي غرشوم بن يهودا (ت ١٠٢٨ م).

التعدد مستحيلة، فلا أساس لها، فهي تخالف صريح الآية المذكورة، وتتعارض مع الكثير من الآيات القرآنية حول قضية الزواج.

وهو بهذه الدعوى يتناغم مع آراء المستشرقين، وأعداء الإسلام، الطاعنين بالقرآن، وبنبوة النبي محمد ﷺ، وليثيروا الشكوك والشبهات حول النبي ﷺ في تعدد أزواجه.

«وفيما يتعلق بشرعية تعدد الزوجات، سوف نرى من الإشارة إلى النصوص التالية في الكتاب المقدس أن تعدد الزوجات لم يكن فقط مستحسناً ولكن باركه (يهوه) بنفسه: التكوين ٣٠ آية ٢: ٢٢ / الخروج ٢١ آية ١١ / التثنية ١٧ آية ١٧ / صموئيل الأول ١ آية ١، ٢، ١١، ٢٠ / صموئيل الأول ٢٥ آية ٤٢، ٤٣ / صموئيل الثاني ١٢ آية ٨ / صموئيل الثاني ٥ آية ١٣ / القضاة ٨ آية ٣٠ / القضاة ١٠ آية ٤ / القضاة ٧ آية ٩، ١٤... لكن أكثر المدافعين عن تعدد الزوجات تميزاً كان (جون ملتون) الشهير، وقد دافع عن هذا الموضوع في كتابه (رسالة في العقيدة المسيحية) استشهد بفقرات متعددة من الكتاب المقدس دفاعاً عن تعدد الزوجات... فعلى أي أساس إذاً اعتبار أن هناك عادة مخزية أو شائنة، وهي لم تحرم على أي فرد حتى في الكتاب المقدس...»[1].

«فالإسلام في الحقيقة جاء ليحد من هذه الفوضى في منح الرجل هذا المقدار من الحرية الزوجية، واذا به يحدد الرجل ويقيده بهذا القدر المحدود

(١) دفاع و اعتذار لمحمد والقرآن، جون ديفنبورت، ص ٢١٩ ـ ٢٢١.

من النساء بعد أن ألزمه بالعدل بين الزوجات بما لا يخدش به كرامة البعض فيما بينهن. واذاً فالمشرع الإسلامي راعى جوانب المرأة في التشريع المذكور اذا أخذنا بعين الاعتبار هذين العاملين؛ التحديد والحد من الحرية السابقة وتقييد الزوج حيث لم يتركه وشأنه يتزوج بدون قيد وشرط، بل رسمت له خطة موضوعية حددته فيها عن القيام بمثل هذه التوسعة إلا إذا كفل للزوجات الحقوق التي فرضها الله عليه، سواء في ذلك الحقوق المالية أم غيرها مما يعود إلى ما يكفل لها حياة هانئة تليق بأمثالها»[١].

١٠ ـ في معنى (الأمي)، و(الأميون):

ان سهيل قاشا وعندما يتعرض لكلمة (أمي) فإنه يفسرها بما يرادف (الجهل)، وكل من لا يعرف القراءة والكتابة، فيقول: (والأميون بمكة)[٢].

وهنا يمارس سهيل قاشا ديدنه في تبني آراء المستشرقين القديمة، والبائدة، والتي منها ما أثاروه حول كلمة (أمي) و(أميون). وهنا نتطرق لبعض آراء المستشرقين حولها كالآتي:

١ـ المستشرق (سبرنجر) في كتابه (حياة وعقيدة محمد) المطبوع في برلين سنة (١٨٦١ م) يقول: بأن المراد من أمي هو وثني[٣].

---

(١) الزواج في القرآن و السنة، عز الدين بحر العلوم، ص ٣٠٩ ـ ٣١٠.

(٢) المصدر السابق، ص ٢١٦.

(٣) حياة وعقيدة محمد، سبرنجر، ج ٢، ص ٢٢٤.

٢ـ المستشرق (فنسنك)[١] وفي مقال له نشره في مجلة (الشؤون الشرقية)[٢] يقول: أن كلمة (أمي) تقال لوصف غير أهل الكتاب، وأن كلمة (أمي) مشتقة من أمة بمعنى شعب وثني (عرقي)، ويتوافق مع الكلمة العبرية (جوييم[٣])[٤].

٣ـ المستشرق (هورفيتز) وهو يذهب إلى أن معنى (أمي) هو (وثني)[٥].

يقول الكاتب المصري (عبد الرحمن بدوي)[٦]: «... من السهل علينا تفنيد هذا الرأي الفاسد (فأمي) لا تعني وثني، والنبي ﷺ وصف نفسه بأنه نبي أمي وهو يجادل اليهود، ومن المستحيل، والمخالف للواقع أن يصف النبي ﷺ نفسه بأنه (أمي) وهو يقصد كافراً، أو وثنياً، لأن بهذا المعنى تكون صفة أمي فيها نوع من الإهانة»[٧].

---

(١) فنسنك (١٨٨٢ ـ ١٩٣٩ م).

(٢) من صفحة (٢) إلى صفحة (١٩).

(٣) الجوييم: أي الأغيار أو الأغراب، يشار بها إلى الأمم غير اليهودية دون سواها بما يحمل المعنى من ذم و قدح، و (جوييم) تطلق على كل من ليس يهودي تهويناً له.

(٤) وهذا ما ذكره في كتابه (العقيدة الإسلامية)، ص ٦٠، كمبردج، ١٩٣٢ م.

(٥) ذكر ذلك في أثنين من كتبه هما: (الأسماء اليهودية ومشتقاتها في القرآن)، و (مباحث قرآنية).

(٦) عبد الرحمن بدوي (١٩١٧ ـ ٢٠٠٢ م).

(٧) دفاع عن القرآن ضد منتقديه، عبد الرحمن بدوي، ص ١٦.

٤ـ المستشرق (فرانتس بول) في كتاب (حياة محمد ـ ترجمة ألمانية، هيلدبرج، سنة ١٩٥٥ م) فهو يرى بأن معنى (أمي): مشتقة من أمة بمعنى شعب، أي: أنها تعني غير ديني[١].

٥ـ ما ذكره المستشرق (كارلو نللينو) والمنشور ضمن أعماله الكاملة، المجلد الثاني، روما، سنة (١٩٤٠ م) (ص ٦٠ ـ ٦٥)، بأن (أمي): هو ذلك اللفظ المنطبق على محمد، وكذلك الأميين حيث يؤيد الرأي القائل بأن أمي مشتقة من الأمة العربية... ويرى أن أمي تأخذ بعداً عرقياً أو متعصباً للقومية[٢].

أن صفة (أمي) قد وردت في القرآن الكريم (٦) مرات: مرتين بصيغة المفرد (أمي)، وأربع مرات بصيغة الجمع (أميين)، وقد تعددت الآراء والتفسيرات حول المراد منها:

١ـ عن الإمام الصادق عليه السلام في تفسير قوله تعالى ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ انه قال: «كانوا يكتبون، ولكن لم يكن معهم كتاب من عند الله، ولا بعث إليهم رسول، فنسبهم الله إلى الأميين»[٣].

٢ـ قال جعفر بن محمد الصوفي: سألت أبا جعفر [الجواد] محمد بن علي الرضا عليه السلام، فقلت: يا بن رسول الله، لم سمي النبي صلى الله عليه وآله (الأُمّيّ)؟

---

(١) م، ن، ص ١٧.

(٢) م، ن، ص ١٧.

(٣) تفسير الميزان، الطباطبائي، تفسير سورة الجمعة، الآية (٢).

فقال: ما تقول الناس؟

قلت: يزعمون أنه إنما سمي (الأمي) لأنه لم يحسن أن يكتب.

فقال: كذبوا، عليهم لعنة الله، أنى ذلك والله يقول في محكم كتابه: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾، فكيف كان يعلمهم ما لا يُحسن؟! والله لقد كان رسول الله ﷺ يقرأ ويكتب باثنتين وسبعين ـ أو قال: بثلاثة وسبعين ـ لساناً وإنما سمي الأمي لأنه كان من أهل مكة، ومكة من أمهات القرى، وذلك قول الله عز وجل: ﴿وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾[1].

٣ـ قال الراغب الأصفهاني: «والأُميّ: هو الذي لا يكتب ولا يقرأ من كتاب... قال قطرب: الأُميّة: الغفلة والجهالة، فالأمي منه، وذلك هو قلة المعرفة... قال الفراء: هم العرب الذين لم يكن لهم كتاب... وقيل: سمي بذلك لنسبته إلى أم القرى»[2].

٤ـ قال القرطبي نقلاً عن أبن عباس: «الأميون: العرب كلهم، من كتب منهم ومن لم يكتب»[3].

---

(١) أوائل المقالات المطبوع ضمن مصنفات الشيخ المفيد ٤: ١٣٥ ـ ١٣٧، وعلل الشرائع ١: ١٢٤، وبحار الانوار ١٦: ١٣٢.

(٢) المفردات، ص ٨٧.

(٣) تفسير القرآن، القرطبي، ج ١٨، ص ٩١.

٥ـ وذُكر بأن المراد بها هو: «عالمي، وصالح، وموجه لكل الأمم... بمعنى أصح النبي العالمي»[١].

قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ۞ وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ (سورة الجمعة، الآيتان ٢ ـ ٣).

٦ـ والمراد بـ(الأميين) هم: أما أهل مكة نسبة إلى (أم القرى)، أو نسبة إلى (أمي) وهي صفة عوام الناس من البسطاء والمغلوبين على أمرهم.

وذلك الذي وضحته السيدة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام لما وصفت العرب، وبالخصوص أهل مكة، وكيف كانت أحوالهم قبل الرسالة المحمدية إذ قالت: «وكنتم على شفا حفرة من النار مذقة الشارب ونهزة الطامع وقبسة العجلان وموطئ الأقدام تشربون الطرق وتقتاتون القد أذلة خاسئين تخافون أن يتخطفكم الناس من حولكم...»[٢].

لكن السؤال المهم: هل كان النبي صلى الله عليه وآله وسلسلة أباءه منهم أم لا؟

الجواب: لا وذلك لقوله تعالى: ﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟﴾ (سورة الجمعة، الآية ٣).

---

(١) دفاع عن القرآن ضد منتقديه، عبد الرحمن بدوي، ص ١٨ ـ ١٩.

(٢) مقطع من خطبة الزهراء عليها السلام.

والمراد بذلك: آخرين من أهل مكة لم يتابعوا قومهم على عبادة الأصنام، ولم يزاولوا عاداتهم، ولم يتأثروا بطباعهم، بل بقوا متمسكين بالدين الإبراهيمي الحنيف حتى وقت بعثة النبي محمد ﷺ وهم من ذرية نبي الله إبراهيم عليه السلام.

قال رسول الله ﷺ: «لم يزل ينقلني الله من أصلاب الطاهرين إلى أرحام المطهرات حتى أخرجني في عالمكم هذا، لم يدنسني بدنس الجاهلية»[١].

وإلى ذلك يشير الأمام علي بن أبي طالب عليه السلام بقوله: «فاستودعهم ـ أي الأنبياء ـ في أفضل مستودع، وأقرهم في خير مستقر، تناسختهم كرائم الأصلاب إلى مطهرات الأرحام، كلما مضى منهم سلف قام منهم بدين الله خلف، حتى أفضت كرامة الله سبحانه وتعالى إلى محمد ﷺ فأخرجه من أفضل المعادن منبتاً، وأعز الأرومات مغرساً، من الشجرة التي صدع منها أنبياءه، وأنتجب منها أمناءه، عترته خير العتر، وأسرته خير الأسر، وشجرته خير الشجر، نبتت في حرم، وبسقت في كرم، لها فروع طوال، وثمر لا ينال، فهو إمام من أتقى وبصيرة من أهتدى»[٢].

٧ـ قال الفراء: (الأمّيون: العرب الذين لم يكن لهم كتاب)[٣].

---

(١) مجمع البيان، الطبرسي، سورة الأنعام، الآية (٧٤)، و الدر المنثور، ج ٥، ص ٩٨.

(٢) نهج البلاغة، الخطبة (٩٣).

(٣) أورده الراغب الأصفهاني في مفردات ألفاظ القرآن، مادة (أمّي).

ان صفة (الأمي) التي وردت في القرآن الكريم (ست مرات) مرتين بصيغة (أمّي) وأربع مرات بصيغة الجمع (أمّيون) وبحسب عموم الآيات التي وردت فيها نفهم منها أن المراد بذلك الأمة التي لا كتاب لها، لا من لا يعرف القراءة والكتابة بحسب الفهم العام الذي جاء بسبب اسقاط معنى حالي على معنى ماضي وهذا الأسقاط من اكبر الأخطاء التي يقع فيها الكثيرون، حتى في الحياة العامة.

المصادر والمراجع

١ـ المدخل لدراسة القرآن الكريم، د. محمد بن محمد أبو شهبة، الأمانة العامة للأوقاف ـ مصر، ط٢، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

٢ـ المستشرقون والقرآن، محمد أمين حسن، دار الأمل، الأردن، ط١، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م.

٣ـ حياة محمد، محمد حسين هيكل، تعليق وتحقيق: المجمع العالمي لأهل البيت، ط١، ١٤٢٨هـ إيران.

٤ـ تاريخ القرآن، أبو عبدالله الزنجاني، منشورات مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط٣، ١٣٨٨هـ/١٩٦٩م.

٥ـ البرهان في علوم القرآن، الزركشي، بدرالدين محمد بن عبدالله (ت٧٩٤هـ) تحقيق: محمد أبو الفضل، ط١، ١٣٧٦هـ.

٦ـ النثر الفني في القرن الرابع، د. زكي مبارك، دار الجيل، بيروت، ١٩٧٥م.

٧ـ تفسير الجلالين، جلال الدين السيوطي، وجلال الدين المحلي، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٣م.

٨ـ مجمع البيان، أمين الإسلام الطبرسي، أبي علي الفضل بن الحسن، أعلام القرن السادس الهجري، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ١٤١٠هـ

٩ـ تفسير الميزان، محمد حسين الطباطبائي، منشورات مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.
١٠ـ مفاتيح الغيب، أو التفسير الكبير، الرازي، فخر الدين بن ضياء الدين محمد (٥٤٤ ـ ٦٠٤هـ) دار الفكر ـ بيروت، ط٣، ١٤٠٥هـ.
١١ـ تفسير السمرقندي، أبي الليث نصير بن محمد الحنفي السمرقندي (ت٣٧٥هـ)، دار الكتب العلمية بيروت، ط١، ٢٠٠٦م.
١٢ـ الحروف المقطعة في القرآن الكريم دراسة ورأي، عبدالجبار شرارة، مطبعة الإرشاد، بغداد، ١٩٨٠م.
١٣ـ فتح القدير، الشوكاني، محمد بن علي (ت١٢٥٠هـ)، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت، بلا تاريخ.
١٤ـ تفسير القرآن الكريم، محمود شلتوت، المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية، ١٤٢١هـ.
١٥ـ تفسير المنار، محمد رشيد رضا، مطبعة المنار، مصر، ١٣٤٦هـ.
١٦ـ الدر المنثور، السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن أبي بكر (ت٩١١هـ) دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٢٤هـ.
١٧ـ الكتاب، سيبويه، عمرو بن عثمان بن قنبر، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.
١٨ـ متشابه القرآن، عبد الجبار المعتزلي الهمداني (ت٤١٥هـ) مكتبة دار التراث، ط٢، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.
١٩ـ الكشاف، الزمخشري، أبي القاسم جارالله محمد بن محمد (ت٥٣٨هـ) دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤هـ.
٢٠ـ تفسير التبيان، الشيخ الطوسي، شيخ الطائفة أبي جعفر محمد بن الحسن (ت٤٦٠هـ) مؤسسة النشر الإسلامي، قم، إيران، ط١، ١٤١٣هـ.

٢١ـ جامع البيان، الطبري، أبي جعفر محمد بن جرير (ت٣١٠) دار المعرفة، بيروت، ط٤، ١٤٠٠هـ.

٢٢ـ الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، أبي عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري (ت٦٧١هـ) دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٤هـ.

٢٣ـ إعجاز القرآن، القاضي الباقلاني، أبي بكر محمد (ت٤٠٢هـ)، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط١، ١٩٩٣م

٢٤ـ محاضرات في تفسير القرآن الكريم، إسماعيل الصدر، دار الكتب الإسلامية، بلا تاريخ.

٢٥ـ في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، ط٩، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

٢٦ـ الإعجاز البياني في القرآن، بنت الشاطئ، عائشة عبدالرحمن، دار المعارف، القاهرة، ط١، ١٣٩١هـ/١٩٧١م.

٢٧ـالصحيح من سيرة النبي الأعظم، جعفر مرتضى العاملي، المركز الإسلامي للدراسات، بيروت، ط٥، ١٤٢٧هـ.

٢٨ـ معاني القرآن، الأخفش، أبو الحسن المجاشعي البلخي (ت٢١٥هـ) مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ١٤١١هـ.

٢٩ـ الفوائد في مشكل القرآن، العز بن عبد السلام، عزالدين عبدالعزيز بن عبدالسلام (ت٦٦٠هـ)، دار الشروق للنشر والتوزيع والطباعة.

٣٠ـ مناهل العرفان في علوم القرآن، عبد العظيم الزرقاني، دار الفكر، بيروت، ط٤، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

٣١ـ تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، عماد الدين أبي الفداء الدمشقي (ت٧٧٤هـ) دار الخير، ط٢، ١٤١٤هـ.

٣٢ـ معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، أبو إسحاق إبراهيم بن السري، ط١، ١٤٠٨هـ، عالم الكتب، بيروت، لبنان.

٣٣ـ سعد السعود للنفوس، ابن طاووس، رضي الدين أبي القاسم علي بن موسى العلوي القاضي (ت٦٦٤هـ) انتشارات دليل ماه، ط١، ١٤٢١.

٣٤ـ كمال الدين وتمام النعمة، الشيخ الصدوق، أبي جعفر محمد بن علي بن بابويه القمي (ت٣٨١هـ)، مؤسسة الأعلمي، ط١، ١٤١٢هـ.

٣٥ـ آلاء الرحمن، الشيخ البلاغي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بلا تاريخ.

٣٦ـ التفسير الأثري الجامع، محمد هادي معرفة، مؤسسة التمهيد، إيران، ط١، ١٤٢٩هـ ٢٠٠٨م.

٣٧ـ التمهيد في علوم القرآن، محمد هادي معرفة، مؤسسة النشر الإسلامي، إيران، ط٣، ١٤١٦هـ.

٣٨ـ تفسير الجواهر، الشيخ طنطاوي جوهري (ت١٣٥٨هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٤م.

٣٩ـ الهيروغليفية تفسير القرآن الكريم، سعد عبد المطلب العدل، مكتبة مدبولي، مصر، ط١، ٢٠٠٢م.

٤٠ـ الإسلام وشبهات المستشرقين، فؤاد كاظم المقدادي، المجمع العالمي لأهل البيت، إيران، ط١، ١٤١٦هـ.

٤١ـ اكذوبة تحريف القرآن بين الشيعة والسنة، رسول جعفريان، مطبعة سلمان الفارسي، ١٤١٣هـ.

٤٢ـ محمد والقرآن: تاريخ النبي العربي ودعوته، رودي بارت، ترجمة: رضوان السيد، ط١، ٢٠٠٩، دار شرق وغرب للنشر. أما طبعته الألمانية فكانت: نشر دار كول هامر ضمن سلسلة أربان الألمانية عام (١٩٥٧ م). وأعيد طبعه عام (١٩٦٦ م).

٤٣ـ تاريخ القرآن، تيودور نولدكه، ترجمة: جورج تامر، منشورات دار الجمل، ٢٠٠٨م.

٤٤ـ مباحث في علوم القرآن، د. صبحي الصالح، دار العلم للملايين، بيروت، ط٢٧، ٢٠٠٧م.

٤٥ـ موسوعة المستشرقين، عبد الرحمن بدوي، ط٣، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٩٣م.

٤٦ـ آراء المستشرقين الفرنسيين في القرآن الكريم، أحمد نصري، ط١، ٢٠٠٩م، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، الرباط ـ المغرب.

٤٧ـ القرآن بحث ودراسة، سهيل قاشا، دار العارف للمطبوعات، بيروت، ط١، ٢٠٠١م.

٤٨ـ مفردات الفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني (ت٥٠٢هـ)، دار العلم، دمشق، ط٣، ١٤٢٤هـ.

٤٩ـ المناهج التفسيرية، جعفر السبحاني، مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام، ط٢، ١٤٢٢هـ إيران.

٥٠ـ الكافي، الشيخ الكليني (ت٣٢٨هـ) دار الكتب الإسلامية، ط٣، ١٣٨٨هـ.

٥١ـ على نهج محمد، كارل إيرنست، ترجمة: حمزة الحلايقة، الدار العربية للعلوم، بيروت، ٢٠٠٨م.

٥٢ـ مذاهب التفسير الإسلامي، جولدتسيهر، مطبعة السنة المحمدية، ١٩٥٥م.

٥٣ـ دفاع واعتذار لمحمد والقرآن، جون ديفنبورت، ترجمة: صالح جابر زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت.

٥٤ـ هل القرآن معصوم؟، عبد الله الفادي، بلا معلومات.

٥٥ـ التحرير والتنوير، محمد بن الطاهر بن عاشور (ت١٣٩٣هـ)، مؤسسة التاريخ،

بيروت، ط١، بلا تاريخ.
٥٦ـ هل في القرآن أعجمي، د. علي فهمي خشيم، دار الشرق الأوسط، ط١، ١٩٧٧م.
٥٧ـ دفاع عن القرآن ضد منتقديه، عبد الرحمن بدوي، الدار العالمية للكتب والنشر، بلا تاريخ.
٥٨ـ شبهات وردود حول القرآن الكريم، محمد هادي معرفة، مؤسسة التمهيد، ط٢، ١٤٢٤هـ.
٥٩ـ آراء المستشرقين حول القرآن الكريم، عمر إبراهيم رضوان، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض.
٦٠ـ مقارنة الأديان، أحمد شلبي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط١٢، ١٩٩٧م.
٦١ـ جمهرة اللغة، ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن (ت٣٢١هـ) دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٥م.
٦٢ـ القرآن دعوة نصرانية، يوسف درة الحداد، بلا معلومات.
٦٣ـ قس ونبي بعث في نشأة الإسلام، ابو موسى الحريري، ط١، ١٩٧٩، دار لأجل المعرفة، بيروت، لبنان.
٦٤ـ مسار الفلسفة في ايران والعالم، محمد الخامنئي، مؤسسة صدرا للحكمة الإسلامية، إيران، ط١، ٢٠٠٦م.
٦٥ـ شمس العرب تسطع على الغرب، زيغريد هونكة، منشورات المكتب التجاري، ط١، ١٩٦٤م.
٦٦ـ فضل الإسلام على الحضارة الغربية، مونتغمري واط، مكتبة مدبولي، ط١، ١٤٠٣هـ.

٦٧ـ دعوى بشرية القرآن: عرض ونقد وتحليل (مناقشة موضوعية لدعوى بسط التجربة النبوية)، محمد الربيعي، مركز الهدف للدراسات، ط١، ٢٠١١ م، منشورات المحبين.

٦٨ـ الإسلام والمسيحية في العالم المعاصر، مونتغمري واط، ترجمة عبدالرحمن الشيخ، ١٩٩٨م.

٦٩ـ تفسير العياشي، أبي النضر السمرقندي العياشي (ت٣٢٠هـ)، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط١، ١٤١١هـ.

٧٠ـ تفسير القمي، علي بن إبراهيم القمي (ت٣٢٩هـ) مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ.

٧١ـ تفسير البيان، السيد الخوئي (قدس سره)، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط٣، ١٣٩٤هـ.

٧٢ـ كنز العمال، المتقي الهندي (ت٩٧٥هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ٢٠٠٤م.

٧٣ـ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، الهيتمي ابن حجر المكي (ت٨٠٧هـ)، دار الفكر، بيروت، ١٤١٤هـ.

٧٤ـ المستدرك على الصحيحين، الحاكم النيسابوري (ت٤٠٥هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٢٢هـ.

٧٥ـ الجامع الصحيح، الترمذي (ت٢٩٧هـ) دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢١هـ.

٧٦ـ مسند أحمد، أحمد بن حنبل (ت٢٤١هـ) مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٢٩هـ.

٧٧ـ دروس في تاريخ الأديان، حسين توفيقي، المركز العالمي للدراسات الإسلامية، ط١، ١٤٢٣.

٧٨ـ نظام التعليم في علم اللاهوت القويم، جيمس أنس، بلا معلومات.

٧٩ـ القرآن والتوراة والإنجيل، موريس بوكاي، ترجمة عادل يوسف، ط١، ٢٠٠٩م، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان ـ الأردن.
٨٠ـ الأغاني، ابو الفرج الأصبهاني (ت٣٠٦هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٤، ١٤٢٢هـ.
٨١ـ قصة الحضارة، ويل ديورانت، دار الجيل، بيروت، بلا تاريخ.
٨٢ـ موسوعة التاريخ الإسلامي، محمد هادي اليوسفي الغروي، مجمع الفكر الإسلامي، ط١، ١٤١٧هـ.
٨٣ـ السيرة النبوية، ابن هشام (ت٢١٨هـ)، دار الفكر، بيروت ـ لبنان.
٨٤ـ صحيح البخاري، ابو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري (ت٢٥٦هـ)، دار القلم، بيروت ـ لبنان.
٨٥ـ صحيح مسلم، ابو الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري (ت٢٦١هـ)، مطبوعات مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح، مصر، ١٣٨٠هـ.
٨٦ـ تاريخ الطبري، ابن جرير الطبري (ت٣١٠هـ)، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ١٤٠٩هـ، ط٥.
٨٧ـ محمد في مكة، مونتغمري واط، منشورات المكتبة العصرية، صيدا، لبنان.
٨٨ـ المصاحف، السجستاني (ت٣١٦هـ)، دار التكوين، دمشق، ط١، ٢٠٠٤م.
٨٩ـ نهج البلاغة، جمع الشريف الرضي (ت٤٠٦هـ)، دار الثقلين، قم، ط١، ١٤١٩هـ.
٩٠ـ حياة وعقيدة محمد، أليوس سبرنجر، برلين ـ ألمانيا، طبعة سنة (١٨٦١م).
٩١ـ التوراة البابلية، سهيل قاشا، الفرات للنشر والتوزيع، بيروت ـ لبنان، ٢٠٠٣ م.
٩٢ـ الزواج في القرآن والسنة، السيد عز الدين بحر العلوم، دار الزهراء، بيروت ـ لبنان، ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م.

٩٣ـ جمع القرآن، بحث استدلالي في معنى الجمع وعلى يد من جمع أولاً، الشيخ عبد الرسول الغفاري.
٩٤ـ تدوين القرآن، علي الكوراني العاملي، الناشر: دار القرآن الكريم، ط١، مطبعة باقري، ايران، ١٤١٨ هـ.
٩٥ـ جمع القرآن، علي الشهرستاني، مركز الدراسات الاستراتيجية التابع للعتبة العباسية المقدسة، ط١، دار الكفيل، العراق ـ كربلاء، ٢٠١٥ م.
٩٦ـ تفسير مفاتيح الأسرار ومصابيح الأبرار، عبد الكريم الشهرستاني (ت ٥٤٨ هـ)، تحقيق: محمد علي آذرشب، مركز البحوث والدراسات للتراث المخطوط، طهرات ـ ايران، ط١، ٢٠٠٨ م.
٩٧ـ بصائر الدرجات، محمد بن الحسن بن فروخ الصفار (ت ٢٩٠ هـ) من أصحاب الإمام العسكري عليه السلام، مطبعة الأعلمي.
٩٨ـ تهذيب الأحكام: في شرح مقنعة الشيخ المفيد، الشيخ الطوسي (ت ٤٦٠ هـ) دار الكتب الإسلامية، طهران ـ ايران، ط١، ١٣٩٠ هـ، تحقيق: حسن الموسوي الخرسان.
٩٩ـ رسم المصحف: دراسة لغوية تاريخية، غانم قدوري الحمد (رسالة ماجستير)، جمهورية العراق، ١٩٨٢ م.
١٠٠ـ كيف جمع القرآن: مراحل التدوين وتطور الخط، محمد قبيسي، دار الفكر اللبناني، ٢٠٠٧ م.
١٠١ـ أضواء على السنة المحمدية أو دفاع عن الحديث، محمود أبو رية (ت ١٩٧٠ م)، دار المعارف، ط ٦.
١٠٢ـ تاريخ المدينة المنورة، عمر بن شبة النميري البصري (ت ٢٦٢ هـ)، تحقيق: فهيم محمد شلتوت.

١٠٣ـ الإيضاح، الفضل بن شاذان الأزدي النيسابوري (ت ٢٦٠ هـ).
١٠٤ـ الدرجات الرفيعة في طبقات الامامية من الشيعة، علي خان المدني (ت ١١٢٠ هـ).
١٠٥ـ المصنف، عبد الرزاق الصنعاني (ت ٢١١ هـ)، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، المجلس العلمي ـ الهند، ط٢، ١٤٠٣ هـ.
١٠٦ـ فضائل القرآن، ابن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤ هـ)، دار ماجد عسيري للنشر والتوزيع، جدة، ط١، ١٤١٦ هـ.
١٠٧ـ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية الأندلسي (ت ٥٤٦ هـ)، دار الكتب العلمية، ٢٠٠١ م.
١٠٨ـ تاريخ الأدب العربي، كارل بروكلمان، ترجمة: عبد الحليم النجار، طبعة دار المعارف، مصر ـ القاهرة، ١٩٦٨ م.
١٠٩ـ مفهوم النص: دراسة في علوم القرآن، نصر حامد أبو زيد، المركز الثقافي العربي، بيروت ـ الدار البيضاء، ط٦، ٢٠٠٥ م.

المحتويات

المقدمة ٧

القسم الأول

شبهات حول جمع القرآن الكريم

مع جمع القرآن الكريم ١٣
في حقيقة الجمع والمراد منه ١٥
تَحَقُّق الجَمع في عهد رسول الله ﷺ ٢٣
١ـ الآيات القرآنية: ٢٤
٢ـ الروايات: ٢٥
٣ـ أقول العلماء واهل الاختصاص: ٢٦
٤ـ الدلالات العقلية: ٢٩
هل جَمعَ أبا بكرٍ القرآن؟ ٣١
ملاحظات حول هذا القول: ٣٢
هل جَمعَ عمر بن الخطاب القرآن؟ ٤١
ملاحظات حول هذا القول: ٤١
هل جمعَ عثمان بن عفان القرآن؟ ٤٤
ملاحظات حول هذا القول: ٤٥
المستشرقون الذين تطرقوا لموضوع (جمع القرآن) ٤٧

القسم الثاني

الحروف المقطعة في القرآن الكريم وتفسيرها

استعراض لجملة من التفاسير المشهورة ٥٣
الحروف المقطعة الماهية والتفسير ٥٥
الحروف المقطعة في تفسير مجمع البيان للشيخ الطبرسي ٥٨
مع توضيح للآراء المطروحة ٥٨
رأي السيد الطباطبائي في الحروف المقطعة ٧٢
مناقشة وتحليل ٧٢
أقوال أُخر في تفسير الحروف المقطعة ٧٧
المستشرقون والحروف المقطعة ٨٦
ادعاءات سهيل قاشا حول الحروف المقطعة ٩١
مناقشة وتحليل ٩١
التجني على الشيعة ١٠١
كاتب السر اليهودي المجهول ١٠٦
فرية أخذ القرآن الكريم من اللغات والثقافات الأُخرى ١١١
تخرصات حول الحروف المقطعة ١٢٦
اللغة السريانية والقرآن الكريم ١٣١
كتابات تجميعية بلا أي دليل ١٤٣
استنتاجات سهيل قاشا حول الحروف المقطعة ١٤٥
الاستنتاج الأول: (إنها جمل سريانية مختزلة): ١٤٥
الرد عليه: ١٤٥
الاستنتاج الثاني: (التأثير السرياني مرة أخرى): ١٤٧
الرد عليه: ١٤٨

الاستنتاج الثالث: (الإدعاء بعدم تحريف الإنجيل): ١٥٦
الرد عليه: ١٥٦
١ـ قسم (الأسفار التاريخية): ١٦١
٢ـ قسم (الأسفار التعليمية): ١٦٢
٣ـ رؤيا يوحنا اللاهوتي: ١٦٢
الاستنتاج الرابع: (اختزالات توراتية وإنجيلية): ١٦٥
الرد عليه: ١٦٦
الاستنتاج الخامس: (أنها من وضع ورقة بن نوفل): ١٦٧
الرد عليه: ١٦٨
حقيقة ورقة بن نوفل ١٧١
ترتيب نزول السور القرآنية هو الحَكم بيننا ١٧٤

القسم الثالث

شبهات أُخر حول القرآن الكريم

تخرصات سهيل قاشا الأُخر حول القرآن الكريم نموذجاً ١٨١
١ـ التجني على المنظومة الحديثية الإسلامية: ١٨١
٢ـ شبهات حول جمع القرآن الكريم: ١٨٣
٣ ـ التجني على شخص النبي محمدﷺ: ١٨٥
٤ ـ شبهات حول المصحف العثماني: ١٨٧
٥ ـ شبهة عدم صلاحية القرآن الكريم لكل زمان: ١٨٨
٦ ـ أخطاء تاريخية لا تغتفر: ١٩٠
٧ ـ التشكيك بالوحي: ١٩٤

٨ـ تعدد المصاحف: ١٩٦
٩ ـ تعدد الزوجات: ١٩٩
١٠ ـ في معنى (الأمي)، و(الأميون): ٢٠٣
المصادر والمراجع ٢١٠
المحتويات ٢٢١